

تلخيص شرح المنهاج من ميراث النبوة

للشيخ أحمد السيد

سَمُو

[HTTPS://T.ME/SOMOUO](https://t.me/somouo)

الفهرس

- ١- باب في مرجعية الوحي وشموليته ومركزية التسليم لله
ولرسوله.....٤
- ٢- باب في تلقي القرآن على منهاج النبوة وتقديم مقصد العمل به
وتدبره والاستهداء والاستغناء به وتحكيمه وزيادة الإيمان به
على غير ذلك من المقاصد الشريفة.....١٣
- ٣- باب تعظيم حدود الله والتحذير من مخالفة أمره وأمر رسوله
صلى الله عليه وسلم.....٢١
- ٤- باب ضبط الأفهام على معيار الوحي وتصحيح النبي صلى
الله عليه وسلم لمقاييس النظر وأن من أسباب الضلال ردُّ الحق
بمعايير نظر خاطئة.....٢٧
- ٥- باب في أن الدين على مراتب متفاوتة في الأمر والنهي
والخبر وأن الفقه في الدين والدعوة تبع لإدراك هذه المراتب..٣٣
- ٦- باب في مركزية التزكية في حياة المؤمن وأهمية أعمال
القلوب وأن عليهما مدار الفلاح.....٣٩
- ٧- باب شرف العلم النافع وفضله، وذم من لم يعمل بعلمه.....٤٥
- ٨- باب في مركزية العمل وأنه المقصود من العلم وتربية النبي
صلى الله عليه وسلم أصحابه على العمل وإبعاده إياهم عن القيل
والقال وكثرة السؤال.....٥١
- ٩- باب في صدق النية وأن العمل المقبول هو ما ابتُغي به وجه
الله تعالى ووافق السنة.....٥٧
- ١٠- باب أهمية استحضار الغاية، والحذر من مزاحمة الغايات
الشريفة بالمطالب الدنيئة.....٦٤
- ١١- باب في تحمل الفرد مسؤولية التكليف تجاه نفسه وغيره. ٦٩

- ١٢- باب في المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين.....٧٤
- ١٣- باب في مركزية اتباع هدي الأنبياء وأهميته للمصلح في عبادته ودعوته وصبره.....٨١
- ١٤- باب فضل الإصلاح والدعوة إلى الله تعالى، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....٨٥
- ١٥- باب في صفات المصلحين وما ينبغي أن يكون عليه العاملون للإسلام.....٩٢
- ١٦- باب في أهمية الوعي بسبيل المجرمين والحذر من أعداء الإسلام وكيدهم والتنبه من مكر المنافقين.....١٠٠
- ١٧- باب العناية بالشباب وتقديم ذوي العلم منهم وتفعيل أدوارهم في العمل للإسلام.....١٠٥
- ١٨- باب دور المرأة في بث العلم ونصرة الإسلام، وفي عنايتها بأبواب الخيرات، ومسارعتها إلى العمل بها.....١١٤
- ١٩- باب في الثبات على الاستقامة والحذر من الانتكاس....١٢١
- ٢٠- باب في الحث على الاعتدال في الدين والتيسير فيه، والتحذير من الغلو والتشديد على النفس أو الغير.....١٢٧
- ٢١- باب في مركزية حسن الخلق والبر والإحسان في حياة المسلم.....١٣٨
- ٢٢- باب في مفاتيح الهداية والبصيرة ودوام احتياج المسلم إلى الهداية الربانية.....١٤٢
- ٢٣- باب في أهمية الصحبة الصالحة وفضل الحب في الله وخطورة التفرق والتنازع واختلاف الكلمة.....١٤٨
- ٢٤- باب في الحذر من الفتن، وما يُخشى على الصالحين من فتنة الدنيا والتنافس فيها.....١٥٤

- ٢٥- باب في فهم أسباب ضعف المسلمين واختلال أحوالهم وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك..... ١٦٢
- ٢٦- باب في السُّنن الإلهية وأهمية موافقتها في الإصلاح وإقامة الدين وسياسة الناس ودعوتهم..... ١٦٦
- ٢٧- باب في حسن العاقبة والتمكين بعد البلاء..... ١٧٢
- ٢٨- باب في المبشرات بالتمكين وصالح أحوال المسلمين في آخر الزمان بعد الشدائد والفتن..... ١٧٧
- ٢٩- باب في أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله وأنه شرط النجاة..... ١٨٥
- ٣٠- باب سير المؤمن إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء... ١٨٩
- ٣١- باب في الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحنين إليه..... ١٩٥
- ٣٢- باب الشوق إلى الله سبحانه وتعالى..... ١٩٩

١ - باب فى مرجعية الوحي وشموليته ومركزية التسليم لله ولرسوله

١ - المطلوب اتجاه مرجعية الوحي:

- ١ - التعظيم.
- ٢ - التسليم.
- ٣ - التحكيم.
- ٤ - التقديم.
- ٥ - الاستغناء والاستبشار.

٢ - سبب البدء بالحديث عن مرجعية الوحي:

لأننا أمة ديننا مبني على الإسلام والاستسلام لله تعالى وأمره الذي نعرفه بهذا الوحي، فالتسليم لمرجعيته هو أعظم ما يمكن أن يعمل به المسلم.

٣ - الثمرات الناتجة عما هو مطلوب من المسلم اتجاه مرجعية الوحي:

أعظم ثمرة هي: الهداية، ونحن اليوم نعيش في مرحلة جمعت بين أعلى صور التقدم المادي وأدنى صور الانحطاط الأخلاقي؛ فالإنسان يظن أنه يستطيع أن يعيش وهو مستغن عن الله تعالى. ولذلك فمن أعظم ثمرات مرجعية الوحي والاستناد إليها: هو أن يعيش الإنسان على نور من الله؛ فيتحرك وهو يعلم أن هذا ما

يحبّه الله، ويقتدي في ذلك بالأنبياء الذين يؤمن أنهم أعلى ما يمكن أن يكون من البشر.

٤- الآيات:

١- قال الله تعالى: **{فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}**.

الآية كاملة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}**.

١- الآية داخلة في: التحكيم، والتقديم.

٢- مرجعية الوحي مقدمة على مرجعية أولي الأمر من الأمراء أو العلماء؛ لقوله تعالى: **{فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ}** أي: أنتم أيها المؤمنون فيما بينكم، أو فيما بينكم وبين ولاة امركم **{فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}**.

٣- أجمع العلماء أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إلى شخصه في حياته وإلى سنته بعد مماته.

٤- جمع الله تعالى بين ثلاثة أمور في التحكيم للكتاب والسنة:

١- الأمر المباشر، فقال تعالى: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}**.

٢- تعليق هذه القضية على الإيمان، فقال تعالى: **{إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}** فمن لا يعتبر مرجعية الوحي عند التنازع؛ ففي إيمانه خلل.

٣- بيان العاقبة الحسنة للرد إلى الكتاب والسنة؛ فقال تعالى: **{ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}** ، وهذا يستفاد منه: أن يذكر المؤمن في خطابه الدعوي الثمرات الحسنة للالتزام بالدين والشرعية.

٢- قال سبحانه: **{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}**.

الآية داخلة في: التعظيم، والقرآن له وجوه لعزته:

- ١- إعزاز الله إياه، وحفظه من التبديل والتحريف والتغيير.
- ٢- هو يَغْلِب ولا يُغْلَب، فهو عزيز في محتواه وفي حججه.

٣- قال سبحانه: **{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا}**.

الآية كاملة: **{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ}**.

- ١- الآية داخلة في: التعظيم، والاستغناء.
- ٢- معنى الحكم هنا: الحكمة أو الأحكام والإتقان أو الحاكمية.
- ٣- من أعظم ما يجعل الإنسان يستمسك بمقتضى الوحي: أن يكون عنده مقابلة بين الحق والباطل؛ بأن يعلم أن الحق هو العلم وما سواه هو الهوى.

٤- من المفارقات اليوم أن كلمة العلم إذا أطلقت لا يفهم منها إلا العلم الطبيعي، مع أن العلم الذي ينبغي أن يسمى علما هو العلم المتصل بالوحي؛ لأنه الذي ينفع الناس في مصيرهم وفي مآلهم.

٤- قال سبحانه: {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}.
الآية داخلة في: التحكيم، والتسليم، والتقديم.

١- قضية التعامل مع الوحي وتحكيمه ليست قضية مستحبة فقط؛ وإنما هي قضية فاصلة من قضايا الإسلام الكبرى.

٥- قال سبحانه: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.
١- أوضح آية في: التسليم وخاصة للسنة النبوية.

٢- أعظم ما يمكن أن تُبتلى به الأمة الإسلامية: أن يحال بينها وبين الحكم بالكتاب والسنة؛ فالوحي نزل ليكون قائداً؛ وليس ليُهمش ويُعتزل، وتوصيف هذه القضايا بأنها قضايا سياسية؛ فهذا فيه إبعاد لقضايا الإسلام الكبرى.

٦- قال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.
الآية عامة؛ فتشمل كل ما يقضيه الله أو قضاه الله ورسوله.

ومن أهم الآيات التي لم تذكر في الباب: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}.
ويمكن أن يستدل بها على: أهمية مرجعية الوحي ومركزيته، ومركزية التسليم والانقياد والتقديم.

٥- الأحاديث:

١- عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن القرآن: **"كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ"**. أخرجه مسلم.

١- قصة تحديث زيد بن أرقم بهذا الحديث: طُلب منه أن يُحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: (كَبَرْنَا وَنَسِينَا، وَالْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدٌ)، وهذا يدل على: شدة تعظيم الصحابة لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- الحبل عند كثير من العلماء هو: العهد، فالقرآن هو العهد بيننا وبين الله تعالى.

٣- ينبغي أن يكون القرآن هو الأساس في حياة كل مسلم؛ فكثير من أوامره متعلقة بعامة المسلمين، وليست بدقائق التفاصيل.

٤- الحث على اتباع القرآن، وذكر العاقبة الحسنة لمن اتبعه، وذكر العاقبة من الناحية السلبية لمن تركه.

٥- الحديث هو جزء من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في منطقة غدير خم، فقال: **"وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ"**، ثم ذكر الثقل الآخر فقال: **"وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي"**، ثم بيّن زيد بن أرقم أن أهل بيته هم من حُرِّمَ الصدقة بعده.

وهذه الرواية هي الرواية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما الرواية الأخرى التي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن بين كتاب الله وبين العترة (أهل البيت) في الاتباع

وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض؛ فهي رواية ضعيفة، وهي التي يعظمها الشيعة كثيرا.

٦- وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذه القضية بالثقل؛ لعظم أمرها كما قال تعالى عن القرآن: { **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** }، فالأخذ بهما ثقل والعرب تقول لكل شيء خطير نفيس: ثقل.

٢- عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ**". أخرجه أبو داود والترمذي.

١- أخرجه كذلك أحمد والشافعي، والحديث إسناده صحيح.

٢- "**لَا أُلْفِينَ**" أي: لا أجدن ولا أرين، وفي حديث المقدم: "**يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ**" فأخبر عن خروج هؤلاء الذين ينكرون السنة، وهذا يزيد اليقين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخبر بحصول هذا الحدث.

٣- "**مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ**": ليس منحصرًا في الصورة الحسية، وإنما أراد بهذه الصفة أصحاب الترف الذين لزموا البيوت ولم يروحوا في طلب العلم من مظانه، وهذا يصف الحال الموجود اليوم لمنكري السنة في فقدانهم لأبجديات العلوم الشرعية.

٤- من حرص النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته: تحذير أمته من الفتن المستقبلية؛ بحيث يكون لديهم استعدادات مبكرة.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- التعظيم لمرجعية السنة النبوية.

٢- كثير من منكري السنة يقول: أننا نشرك بالله حين نتبع كلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأننا جعلنا البشر في منزلة الله، والجواب: أن طاعتنا للرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي تعظيم لله تعالى الذي أرسله وطاعة له، وهي مؤسسة في كتاب الله في قوله تعالى: **{مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}**.

٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخطبة: **"أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"** أخرجه مسلم.

١- الحديث داخل في: التقديم، والاستغناء، والتعظيم.

٢- تعظيم القرآن هو تعظيم نابع من السنة؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم وصف القرآن بأنه خير الحديث ووصفه الله تعالى بأنه أحسن الحديث؛ وهذا مهم في منازعة منكري السنة النبوية.

٣- الحديث ورد عن طريق رواية أهل البيت عن جابر، فسادات أهل البيت كانوا يروون هذه الأحاديث التي فيها تقديم الكتاب والسنة على غيرها، وهذا يختلف عما يعتقد أن كلام هؤلاء الأئمة يوازي أو يقدم على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ كُفِّنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} قَالَ: نَعَمْ {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} قَالَ: نَعَمْ {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} قَالَ: نَعَمْ {وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} قَالَ: نَعَمْ. أخرجہ مسلم.

١- الحديث في: صميم باب مرجعية الوحي والتسليم.

٢- طبيعة تلقي الصحابة للآيات: كانوا ينتبهون لدلالة الآية وما الذي تستلزمه، وكانوا يخافون أن يخالفوا ما جاء عن الله وعن الرسول؛ لذلك لما جاءت فاطمة تطلب ميراثها من أبي بكر وكان

عنده نص صريح أن الأنبياء لا يورثون، قال لها: (لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخَشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ).

فإذا أردنا أن نقّدي بهم؛ فيجب أن نجعل لكتاب الله من التعظيم ما كان عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- المعايير المختلفة عند الصحابة: بالنسبة لهم المحاسبة على الخواطر التي في النفوس أشد من الجهاد والتعرض للموت، وهذه درجة عالية في الإيمان والصدق ومعرفة النفس.

٤- من أهم صور التشبه بأهل الكتاب: عدم الانقياد والتسليم لمرجعية الوحي؛ فليس التشبه بهم في الأمور الظاهرة فقط.

٥- الله تعالى يشرع بعض الأحكام لاختبار التسليم؛ كما في هذا الحديث، وكذلك تحويل القبلة {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ}.

٦- بيان مركزية التسليم، وتُعرف هذه المركزية من سياق القصة، ومن التعظيم الذي ورد في الوحي لهاتين الآيتين؛ مثل حديث الملك الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُوْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ)، وكذلك حديث: "الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ".



٢ - باب فى تلقى القرآن على منهاج النبوة وتقديم مقصد العمل به وتدبره والاستهداء والاستغناء به وتحكيمه وزيادة الإيمان به على غير ذلك من المقاصد الشريفة

١ - مقاصد تلقى القرآن:

١ - التذكر، ويكون عبر التدبر:

قال الله تعالى: {كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لَّيَذَّبَرُوا عَائِيَّتَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَؤَا الْأَلْبَابِ} وقال سبحانه فى أربعة مواضع من سورة القمر {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} والذكر المقصود هنا هو التذكر والاعتبار والاتعاظ كما قال الطبري رحمه الله: (الذكر: لمن أراد ان يتذكر ويعتبر ويتعظ).

بيان مركزية التدبر لكتاب الله تعالى وأنه أنزل لأجل ذلك، وأن الغاية العظمى من إنزاله هو حصول التذكر الذي هو الاتعاظ وإزالة الغفلة والاستقامة، وهذا يحصل من خلال وسيلة التدبر.

٢ - زيادة الإيمان:

قال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وقال

سبحانه: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

من أعظم ما تحققه آيات القرآن: زيادة الإيمان، فإذا كان تلقي القرآن لا يؤدي غالبا إلى زيادة الإيمان؛ فهذا يعني أن طريقة التلقي فيها إشكال، فينبغي على المؤمن عندما يتلقى القرآن أن تكون عينه على زيادة الإيمان.

٣- الخشوع الذي هو من ضمن زيادة الايمان:

قال سبحانه: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ} وقال سبحانه: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ}.

أهم صور زيادة الإيمان من خلال القرآن هو الخشوع؛ فينبغي أن يكون هذا نصب عيني من يتلو القرآن ويتعلمه.

٤- حصول الكفاية والاستغناء بالقرآن:

قال سبحانه: {إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ} قال ابن كثير رحمه الله: (أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم لبلاغا أي لمنفعة وكفاية لقوم عابدين)، وقال ابن سعدي رحمه الله: (أي: يتبلغون به في الوصول إلى ربهم).

مَنْ يكتفي بمرجعية الوحي هو: من يستحضر ربانية القرآن وشموليته، واحتياج الإنسان إلى العلم من خلاله.

٥- الاهتداء بالقرآن:

قال سبحانه: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} وقال سبحانه: {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}.

إدراك أن القرآن جاء للهداية؛ يجعل المتلقي للقرآن يتلقاه بعين المستهدي، وليس فقط مجرد الحفظ والأداء.

٦- الوصول للربانية من خلال علم القرآن وتعليمه ومدارسته:

قال سبحانه: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ". أخرجہ مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَفْرءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ

يَجِئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ
وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصَّفَّةِ وَالْفُقَرَاءِ). أخرجہ مسلم.

- ١- من أهم الوسائل للوصول للربانية هو: التعلم للكتاب ليس فقط تعلماً لحروفه من حيث الأداء؛ إنما هو تعلم لحدوده أيضاً.
- ٢- من المهم ألا يُوقف عند شق تلاوة القرآن؛ وإنما يُشفع بشق التدارس.
- ٣- وصف مجموعة من الصحابة بالقراء بسبب الارتباط الدائم بالقرآن؛ من حيث قراءته وتدارسه.
- ٤- من أعظم التصحيح في تلقي القرآن: إحياء مجالس تدارسه.
- ٥- من المهم معرفة أن السنة كانت مسماة بذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فالمنكرين للسنة ينازعون في هذا الاسم.
- ٧- مدافعة الباطل من خلاله:

قال سبحانه: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} به: أي بالقرآن.

خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولورثته: أن يجاهدوا الكفار بالقرآن الذي فيه مضامين في بناء الحق وفي هدم الباطل، وفقه هاتين الدائرتين هو فقه عظيم جدا في طريق المصلح.

٨- شفاء لما في الصدور:

قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

الشفاء الأساس في الآية هو: الشفاء المعنوي لما يختلج في الصدور من التساؤلات والشكوك.

٢- كيفية تلقي القرآن:

١- تلقي الإيمان قبل القرآن:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِّنْ دَهْرِنَا، وَأَحَدْنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَعَلَّمُ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا، وَآمَرُهَا وَزَاوَرُهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَذَرِي مَا أَمَرُهُ وَلَا زَاوَرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْتَثِرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ). أخرجه الحاكم والبيهقي واللفظ له.

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةٍ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا). أخرجه ابن ماجه. حزاورة: جمع الحزور: وهو الغلام الذي قارب البلوغ.

١- أهمية الاستعداد لتلقي القرآن، وأن يدخل له بقلوب تعظمه ويكون مبنيا فيها الإيمان، فينبغي أن يكون من أوائل ما يأخذه الطلاب في حلقات التحفيظ: الدروس المتعلقة بأعمال القلوب والإيمان بالآخرة، والعلم بالله وبكتابه وإدراك عظمته.

٢- الحديث الأول مرتبط بقول الله تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}؛ وذلك في قوله: (فَتَعَلَّمْ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا) وهذا فيه التعلم والدراسة، وقوله: (وَأَمَرَهَا وَزَجَرَهَا) هذا فيه التذكر والاعتاظ {فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}.

٢- التلقى المتأنى للقرآن:

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقَرِّئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ. أخرجه أحمد.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ). أخرجه الحاكم والبيهقي في الكبرى، وأخرجه الطبري في تفسيره واللفظ له.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كَانَ رَجُلٌ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، يُعَدُّ فِينَا عَظِيمًا. أخرجه أحمد.

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثَمَانِي سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا. أَخْرَجَهُ مَالِكٌ.

١- الخبر الأول والثاني بإسناد جيد، وهما في كيفية تلقي القرآن على زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أنموذج ينبغي أن يعاد تفعيله، والمقصد الأساسي من أخذ عشر آيات هي: (فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ). و(لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ) وكذلك كان تلقي الصحابة للبقرة وآل عمران، فهو أخذ ما فيهما من أحكام والوقوف عند ما فيهما من العبر والعمل بما فيهما، وبالتالي صار أخذ البقرة وآل عمران له معنى كبير جدا.

٢- أخرج مالك الحديث الرابع بعد حديث الخوارج الذين يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، وهو ترتيب عظيم فيه فقه متقدم جدا؛ فكأنه يقول أن هؤلاء الخوارج يأخذون القرآن بسرعة، ولكن الشأن ليس في كثرة التلاوة وإنما في كيف تتلقى القرآن، ثم يضرب لك أنموذجا من خلال ابن عمر في التاني في التلقي.

٣- نحن اليوم أمام واقع مختلف كثيرا عن الاقتداء بالمنهج النبوي في التلقي، والجذر الأكبر الذي ينبغي أن يكون فيه الإصلاح هو إصلاح ما يتعلق بتلقي القرآن ليحقق المقاصد التي كانت تتحقق عند من يتلقى القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- تعلم القرآن والتفقه فيه:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: "أَنَّ

الْأَمَانَةُ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ"، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: "يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ" ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ "فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبَاعُونَ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجَلَدُهُ، مَا أَظْرَفُهُ، مَا أَعْقَلُهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ". وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

١ - رفع الأمانة يكون بطريقة متدرجة؛ فيرفع شيء منها حتى يظل أثرها مثل الْوَكْتِ وهو لون مختلف عن الذي قبله مخالف لما حوله، ثم يظل أثرها مثل الْمَجْلِ وهي الانتفاخة التي تحصل بسبب الحرق أو بسبب عمل الفأس فيكون داخلها ماء، ثم يصبح الرجل ليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

٢ - الأمانة هنا مثل قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} وهي التكاليف الشرعية والدين بشكل عام، فالإنسان قد تنزع منه معاني الدين بشكل تدريجي.



٣- باب تعظيم حدود الله والتحذير من مخالفة أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم

١- مجالات تعظيم مرجعية الوحي:

- ١- التعظيم لله وأنه هو الأساس لكل تعظيم آخر متعلق بالشرعية.
- ٢- التعظيم المجمل للشرعية.
- ٤- التعظيم المفصل الخاص لما جاء تعظيمه في الشريعة، ومن أعظم صور الفقه في الدين: أن يكون تعظيم الأمر الشرعي بقدر ما عظمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- أصناف الناس اتجاه التعظيم للشرعية:

- ١- من يمثل للشرعية ويعظمها تعظيما قلبيا خاصا، وهو أعلى الأصناف، وسبق الباب للدعوة له؛ لأنه إذا وصل لهذه المرتبة يكون ممثلا لأمر الله وهو منشرح النفس مقبل على العبادة.
- ٢- من يمثل للشرعية ولا يكون في قلبه قدر كاف من التعظيم الخاص لها؛ وإنما همه أداء ما عليه من الواجبات وإبراء الذمة.
- ٣- من لا يمثل ولا يعظم.

٣- من صور تعظيم الله:

١ - وجل القلب من تعظيم الله:

قال الله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}.

- ١- من أظهر علامات المؤمن: أنه إذا ذُكِرَ وخُوف بالله يخاف، ومن علامات النفاق {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ}.
- ٢- المعنى الأساسي لذكر الله: الذكر الداخلي والتذكر، مثل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ}.

- ٣- معنى {وَجِلَتْ}: خافت وفرقت، وعلاقة الآية بتعظيم حدود الله: إذا كان القلب وجلا من الله وفيه خشية منه؛ فإن امتثاله لأمره وابتعاده عما حرم هو من المقتضيات الأساسية لهذا الوجل.

- ٤- البوابة الأساسية الموصلة لهذا الحال: هي العلم بالله فكلما ازداد المسلم علما بالله ازداد تأهلا للخشية منه، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، وأعلى سبيل للعلم بالله هو تدبر كتابه وتأمل ما ذكره الله فيه عن نفسه، ثم التفكير في مخلوقاته.

٢ - تعظيم شعائر الله:

قال سبحانه: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}.

- ١- سبب تعظيم شعائر الله هو: التقوى الكامنة في قلب المؤمن.

٢- المقصود بالشعائر هنا: مناسك الحج، والشعيرة هي: المعلم الواضح، ومنهم من خصّ الشعائر بالبدن، ومنهم من جعلها عامة لتشمل أعلام الدين الظاهرة.

٣- من أولى ما يدخل في هذا الباب: قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} وقال ابن كثير في معنى الآية: (ومن يجتنب معاصيه ومحارمه فيكون ارتكابها عظيماً في نفسه) فجمع بين الامتثال والتعظيم.

٣- التحذير من مخالفة أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم:

٣- قال سبحانه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرٍ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ). أخرجه البخاري ومسلم.

١- {فِتْنَةٌ} أي كفر، فالمخالفة للأمر قد يكون من العقاب المترتب عليه أن يزيغ قلبه، وكلما ازداد الإنسان استقامة؛ ازداد خوفه من أن يُفتن في دينه بسبب تركه لبعض الأوامر، وهذا يكون في الدرجات العالية من العلم بالله تعالى والقرب منه.

٢- من أعظم ما يعين على تعظيم ما عظمته الشريعة: العلم بالشريعة وبمراتبها، وتُعرف المراتب من طبيعة ما يحتفّ به الخطاب الشرعي، فإن كانت العقوبة مغلظة فهو معظم من جهة النهي، والثواب الكثير المكرر يدل على تعظيم الأمر، فالتعظيم للشريعة غير متحد الدرجة بل مختلف بقدر ما عظمت الشريعة.

٤- قول أبي بكر جمع بين التعظيم والامتثال، وهو مماثل لآية {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فهو مثال ينبغي أن يُحتذى به، لأننا اليوم في زمن كثرت فيه الوسائل المهوَّنة من كثير من شعائر الله وأوامره.

٥- من أعظم المؤشرات على نجاح التربية: الاهتمام بغرس تعظيم شعائر الدين وأن يكون لدى الطلاب خوف من المحرمات المغلظة في الشريعة، وهذا ما ربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه، فكان أبو بكر مثالا على تعظيم الشريعة.

٤- تعظيم حدود الله:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ فُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟" ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَآيُمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا". أخرج البخاري ومسلم.

١- من أهم صور تعظيم ما نزل فيه حد: أن يكون غير قابل للتعطيل بسبب الأنساب والاعتبارات الاجتماعية.

٢- من أهم أسباب هلاك الأمم السابقة: أنهم تعاملوا مع الشريعة بمبدأ التجزئة، فلم يعظموها ويجعلوها سارية على الجميع.

٣- الأسلوب الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ليبين إجراء الحدود حتى على ابنته؛ يترك في النفوس من الأثر التعظيمي الأمر الكبير وهذا ينبغي أن يكون في السياقات التربوية.

٥- التعظيم المجمل للشرعية بالوقوف عند نصوصها:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنْ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. أخرجه البخاري.

١- أصحاب مجالس عمر ومشاورته هم القراء أي العلماء العباد.

٢- من أهم صور التعظيم: أن يحول بين النفس وبين إراداتها بعد أن تنطلق إلى إراداتها بسيف من زواجر الشريعة؛ وفي قصة الثلاثة الذين في الغار كان أرجى عمل توسل به أحدهم أنه بعد أن كاد أن يقع في الزنا توقّف لما قالت له المرأة (اتق الله).

٦- التعظيم لأحكام الله ومخالفة للنفس وهواها:

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ
فَطَلَّقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ
وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فَطَلَّقْتَهَا ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ
أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ { **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ** } فَقُلْتُ: الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ. أخرجه البخاري.



٤- باب ضبط الأفهام على معيار الوحي وتصحيح النبي صلى الله عليه وسلم لمقاييس النظر وأن من أسباب الضلال ردُّ الحق بمعايير نظر خاطئة

١- عنوان الباب:

- ١- كل أمة لها معاييرها المتكونة من خلال الثقافة والهوية، فإذا كانت تلك المعايير خاطئة؛ فإنها تكون من أهم أسباب رد الحق، وهذا مذكور في قصص الأنبياء مع أقوامهم.
- ٢- من أعظم صور التصحيح التي جاء بها الأنبياء: تصحيح المعايير، وكثير من المشتغلين بالدعوة يركز على تصحيح بعض التصورات الجزئية، والمصلح الواعي يركز على إصلاح المعايير؛ لأنها إطار كبير تدخل تحتها أمور جزئية كثيرة.
- ٣- نحن اليوم في زمن تُبنى فيه المعايير الخاطئة بشكل ضخم في المنصات الإعلامية وشبكات التواصل، ثم أصبحت تلك المعايير الخاطئة سنة كما قال ابن مسعود: (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فِتْنَةً يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرَبُّ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ)، أخرجہ الدارمی.

٢- ردُّ الحق بمعايير نظر خاطئة:

قال قوم نوح: {قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ} وقال قوم شعيب: {وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا} وقالت بنو إسرائيل: {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ} وقال مشركو قريش: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا}.

أهل الباطل وإن اختلفت أزمنتهم فإن معاييرهم متشابهة؛ لتشابه ما تحمله قلوبهم من اتباع الهوى ورفض قبول الحق.

٣- تصحيح المعايير:

قال الله تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ} قال سبحانه: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} قال عز وجل: {قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَرَّةِ}.

٤- تصحيح النبی صلی الله علیه وسلم لمقاييس النظر:

١- عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَذْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَطًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُّعَلَّقٌ. قَالَ: فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ، قَالَ: "مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي، وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ

وَكِسْرَى فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَوْتُهُ وَهَذِهِ خِرَازِنُكَ فَقَالَ: **"يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ، وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟"** قُلْتُ: بَلَى. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

١- **"الْقَرِظُ"**: ورق شجر يدبغ به الجلد، **"الْأَفِيقُ"**: الجلد، **"ابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ"**: سالتا بالدموع.

٢- حال النبي صلى الله عليه وسلم ورضاه بالقليل، حيث كان يعيش حياة غير مترفة فيها كثير من الصعوبات وكانت تمر به أنواع من الهموم مختلفة المصادر، والعجيب: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيش في رسالته صابرا محتسبا وكأنه ليس هناك تحديات مادية تحيط به، وهذا أمر عظيم متعلق بدلائل النبوة.

٣- حال الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم وحرصهم الشديد على أن يكونوا بقربه، وفي بعض روايات الحديث أن عمر أضحك النبي صلى الله عليه وسلم وسرّى عنه، وهذه من أعظم الأعمال الصالحة التي حازها الصحابة وفازوا بها.

٤- مركزية الآخرة وأثر ذلك على الصبر والزهد.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"**. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

١- إصلاح معياري من يضعه نصب عينيه تزول عنه كثير من الإشكالات؛ فكثير من المسلمين يظن أنه من المفترض أن يعيش في سعادة بعيدا عن الهموم والابتلاءات، وحين يُبتلى يقول: لماذا

يأتيني هذا وأنا طائع لله، والمفترض العكس لأنه إذا كنت طائعا لله فلا بد أن تأتيك اختبارات إذا لم تكن مستعدا لها قد تسقط.

٢- من أهم سبل الاستعداد للابتلاءات: أن تعلم أن الدنيا سجن وأن الدين قيد يقيد الإنسان عن رغباته، وفائدة هذا: أن يكون المؤمن مستعدا نفسيا لمخالفة الهوى، وتلقي التكاليف الشرعية.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

الحديث فيه شرف كبير جدا لمثل هذا السلوك الذي هو جزء من مخالفة الهوى والقدرة على منع النفس عن رغباتها وخاصة إذا كان هناك داع داخلي يدفع الإنسان كالغضب، فإذا استطاع أن يسكن هذا الغضب ويمنعه؛ يكون شديدا حقا.

٤- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا تَعْدُونَ الرَّقُوبَ فَيَكُم؟"** قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ قَالَ: **"لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا"**. أخرجه مسلم. الرقوب في اللغة: الذي لا يعيش له ولد.

التصحيح المعياري في القضية هو عكس المتبادر إلى الذهن؛ فمن حيث التعريف فالرقوب: الذي لا يولد له، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول أن مَنْ اكتمل بنوه ولم يصب فيهم بشيء ولم يمت أحد منهم؛ كان فيه نقص من هذه الجهة.

٥- تصحيح الصورة الظاهرة:

١- عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه عن رفع الأمانة من الناس، قال: **"فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلُهُ وَمَا أَظْرَفُهُ وَمَا أَجْلَدُهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

نحن اليوم في زمن طبيعة النظرة التكوينية فيه هي نظرة نجوم ورموز، والكثير من المشاهير غاية ما لديه أن يقال فيه: ما أظرفه، وإذا نظرت إلى المعيار الحقيقي الذي ينبغي أن يقدم للإنسان لأجله وهو الإيمان فهو لا يمتلك شيئاً منه.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"رُبَّ أَشْعَثٍ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ"**. أخرجه مسلم.

٣- عن سهل رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **"مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟"** قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: **"مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟"** قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"هَذَا خَيْرٌ مِنْ مَلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا"**. أخرجه البخاري.

النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أسلوباً مثل أسلوب حديث: **"مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟"**، وهو أسلوب نبوي متكرر، فينبه باستعمال السؤال الذي إجابته معروفة لإيقاظ المعلومة المستقرة، فيخرج ما في أنفس الناس من التصورات الخاطئة ويجعلهم ينطقون بها؛ ثم ينسفها لهم ويقول لهم الصواب، وهذا أسلوب نبوي مهم أن يتخذه المصلحون والدعاة؛ خاصة إذا كان الكلام متعلقاً بأمر معظم أو بتصحيح معياري.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعَسَّ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"**. أخرجه البخاري.

١- إضافة مكونات داخلية لبعض الألفاظ، فالعبد هو من له سيد يملكه؛ فيأتي الإسلام ويوسّع من هذا المفهوم؛ ببيان أن هناك عبودية أدنى منها وهي اللهث خلف المال.

٢- امتداح للعامل للدين الذي لا يبالي أين يكون مكانه في الدنيا، وإذا جاء هذا المدح فمعنى ذلك أن هناك ذم لعكسه وهو من لا يشتغل في المجالات الدعوية إلا إذا كان له مكانة معينة.



٥- باب في أن الدين على مراتب متفاوتة في الأمر والنهي والخبر وأن الفقه في الدين والدعوة تبع لإدراك هذه المراتب

١- معنى الباب:

- ١- الدين يحتوي على أخبار وأوامر جمع الله بينهما في قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}، أي: صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام والأمر والنهي.
- ٢- من أعظم الفقه في الدين: إدراك تفاوت مراتب الأمر والنهي والخبر، ثم التعظيم لها بناء على تفاوتها، ثم الالتزام العملي بقدر هذا التعظيم القلبي.

٢- التفاوت في الدين:

١- تفاوت رتب النواهي في الدين:

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وقال سبحانه: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ:

"الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ". أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ"** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **"يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- من أعظم الفقه في الدين: أن تظل المحرمات الكبرى؛ مغلظة معظمة عند الإنسان، ومن ثم يجتنبها لتكفر سيئاته.

٢- إثبات التغليظ الشديد في الشرك بحيث أن الله لا يغفره، فهناك أحكام مغلظة متعلقة بالأعمال الشديدة.

٣- من صور الخلل الموجودة في الواقع: إقامة الخطاب الدعوي على غير مقتضى التفاوت في المحرمات؛ فيتم تعظيم المحرمات التي لم تعظم وتصغير المحرمات المعظمة.

٢- تفاوت الأخبار والتفاضل بين آيات القرآن الكريم:

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟"** قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **"يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟"** قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: **"وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ،"**

أَبَا الْمُنْذِرِ". أخرجه مسلم، والعلم الممتدح هنا هو المتعلق بإدراك أعلى الآيات القرآنية مرتبة.

وعن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ} ثُمَّ قَالَ لِي: "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ" ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: " {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ". أخرجه البخاري.

١ - النبي صلى الله عليه وسلم ربي أصحابه على المركزيات والتفاوت بين الأخبار؛ ولذا استطاع أبي بن كعب أن يستنبط من خلال هذا العنوان العام الجواب التفصيلي، وهذا لا يكون إلا إذا تربى على أن موضوع العلم بالله هو أشرف الموضوعات، لأن هذا هو موضوع آية الكرسي.

٢ - استعمال النبي صلى الله عليه وسلم أساليب غير اعتيادية للفت الانتباه إلى المعاني المركزية، مثل حديث: "احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" فلما احتشدوا قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، ثم قال: "إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" فمن أعظم الفقه في الدين: أن يحافظ المصلح على قيمة المركزيات والمحكمات بنفوس المتربين والمتعلمين.

٣- تفاوت رتب الأوامر في الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: **"إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ"** قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **"الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"** قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **"حَجٌّ مَبْرُورٌ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ"**. أخرجه البخاري.

١- ربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تفاوت الأعمال فيكثر في سؤالهم السؤال عن أفضل العمل، وإذا حافظ المصلح على هذا النوع من الأسئلة عند المترين؛ فهي علامة على الفقه وحسن الثمرة وإذا كانت أسئلتهم من جنس الأسئلة المكروهة؛ فهذا فيه إشكال وقد يكون سببه الرسالة التي تركها هذا المصلح.

٢- النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل كثيرا الأساليب التقريبية فيما فيه أعداد فبذكر الرقم يسهل الحفظ، فهذا باب مهم من أبواب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم النقص الذي قد يدخل على الداعي هو النقص في تقديم الخطاب بطريقة تعبر عما في نفس المتحدث وتصل بوضوح إلى نفوس المتلقين.

٣- من أعظم الفقه في الدين: أن يعظم الإنسان الفرائض وأن يحسن في أدائها لتكون في الدرجة العالية من الأداء، ثم بعد ذلك يتقرب بالنوافل التي هي من أهم ما يبلغ العبد به الولاية.

٤- التفاوت في مراتب الدعوة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: **"إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَأَدْعُهُمْ إِلَى: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ".** أخرجه البخاري ومسلم.

١- من أهم مفاتيح إصلاح الواقع: مركزة المركزيات وإعادة ترتيب الأولويات لدى المتلقين؛ فإذا حصل ذلك سهل تلقي حقائق الدين، ومن ثم يسهل أن يقام الإصلاح على ضوء هذه الحقائق.

٢- من أعظم أولويات الخطاب اليوم: الخطاب الذي فيه تعظيم الله والعلم به وربط الناس بالآخرة وفتح القلوب لتتلقى حقائق

الأمر والنهي بتسليم، وهذا فيه علاج لكثير من المشكلات التي تأتي في الواقع.



٦- باب فى مركزية التزكية فى حياة المؤمن وأهمية أعمال القلوب وأن عليهما مدار الفلاح

١- تعريف التزكية:

التخلص من أمراض القلوب من الكبر والنفاق والرياء والحرص على تغذية القلب بالمحبة لله والخشية له والتقوى وغيرها من أعمال القلوب التي تؤدي إلى زيادة أعمال الجوارح.

٢- الآيات:

١- قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}.

الآية جواب القسم الذي جاء بعد أقسام متوالية، تدلّ على أن فلاح من يزكي نفسه أمر عظيم فهذا يدلّ على مركزية التزكية.

٢- قال سبحانه: {جَنَّتْ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى}.

حين يذكر الله أن الجنة بسبب عمل يختصر دخول الجنة فيه؛ فهذا العمل هو من أهم الأعمال التي يمكن أن يُتقرب بها إلى الله.

٣- قال سبحانه: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ}.

الوسيلة الأساسية للتركية: أن يمن الله بها على الإنسان.

٤- وقد وصف الله تعالى وظائف رسوله التي بعث بها فجعل
التركية أساسا فيها، فقال: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ} وقال: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ
يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ}.

مركزية التركية؛ حيث أنها من أعظم وظائف النبي صلى الله
عليه وسلم التي كررها الله في كتابه، وصارت عنوانا من
العناوين الكبرى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- الأحاديث:

١- عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ
الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ
وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا". أخرجه مسلم.

١- الذي يزكي النفوس ويظهرها هو وليها ومولاها رب
العالمين، وهذا قريب من آية {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا
زَكَّىٰ مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ}.

٢- من أهم وسائل تحصيل التركية: الدعاء بها.

٣- أهمية التزكية؛ فينبغي على صاحب العبادة والشهرة في العمل للإسلام؛ أن يظل محافظاً على الدعاء بالتزكية؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بها فمن باب أولى من هو دونه.

٤- العلاقة بين التزكية وبين الاستعاذة من العجز والكسل: هذه من الأمراض التي تعيق التزكية فيجب التخلص منها حتى تكمل التزكية، وبالأخص الكسل لأن التكاليف لا تستقيم لإنسان كسول غير ذي همّة؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الاستعاذة من الكسل في أذكار الصباح والمساء وغيرها، ومن وسائل التفقه في الدين: الانتباه لمعاني العبودية اليومية.

٢- عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا). أخرجه ابن ماجه.

التزكية في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم هي المبتدأ وهي المنتهى؛ فقال: (فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ)، فأول درس هو الإيمان ومعرفة حقائق الدين وأعمال القلوب (ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا) فتعلم القرآن للهداية وزيادة الإيمان.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**التَّقْوَى هَاهُنَا**" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه مسلم.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ"**. أخرجه مسلم.

٥- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

مركزية القلب وأعماله، والتربية عليه في أربع درجات:

١- التربية على مهمات الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة دون التركيز على الأعمال القلبية.

٢- الاهتمام بالأعمال الظاهرة بالتركيز على بعض السنن والمظاهر الشرعية الخارجية مع إهمال ما هو أكد منها من الواجبات الكبرى للأعمال الظاهرة ومع إهمال العمل الباطن.

٣- التركيز على الأعمال الباطنة مع إهمال الأعمال الظاهرة. وهذه المقامات كلها خاطئة، والتربية الموافقة لمنهاج النبوة:

٤- التربية على الأعمال القلبية وأن الأصل هو ما في القلب من إخلاص لله وصدق في محبته، فإذا نمي هذا في نفس الإنسان فإن النتيجة هي صلاح ظاهره وسرعة استجابته للأعمال الظاهرة.

٦- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {أَلَمْ يَأْنٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ. أخرجه مسلم.

١- ابن مسعود رضي الله عنه يتكلم عن المرحلة المكية التي كان من سماتها التضحية والبذل والصبر؛ ومع ذلك ينزل فيها هذا العتاب للمؤمنين بأن يعتنوا بهذا المعنى القلبي وهو الخشوع.

٢- تحذير من وسيلة تقسي القلب: وهي طول الأمد والزمن بين الإنسان وبين مرجعية الوحي، فدوام الاتصال بالوحي هو من أعظم أسباب رقة القلب ولينه والوقاية من قسوة القلب.

٧- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ - أَي: القرآن - سُورَةُ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ} وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ. أخرجه البخاري.

١- مما يُعين الناس على الاستجابة للأمر والنهي: الحرص على زيادة مستوى الإيمان والاستحضار للآخرة.

٢- السبب الأساسي لكثرة التفريط في الأمر والنهي: السبب الباطني المتعلق بقلة تذكر الآخرة والجنة والنار؛ فهي من أعظم ما يجدد الإيمان في القلب ويزجر الإنسان عن ارتكاب الحرام.

٣- أهمية الاستصلاح الشمولي للقلب بتذكر الآخرة والعناية بكتاب الله تعالى وصدق الإقبال على الله تعالى، وهذا الاستصلاح

الشمولي يحسن الأعراض الخارجية أو يزيلها بقدر التقوى
الداخلية التي تحققت من خلال هذه المعالجة.



٧- باب شرف العلم النافع وفضله، وذم من لم يعمل بعلمه

١- بيان شرف العلم وفضله:

قال الله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي **عِلْمًا**}.
وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**". أخرجه البخاري ومسلم.

١- العلم المقصود في الآية: هو العلم النازل في الوحي؛ لأن مطلعها: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، فالله أمر نبيه ألا يعجل في تلقي الوحي، وحثه على طلب العلم النافع المتعلق بالوحي والازدياد منه.

٢- من أهم وسائل تحصيل العلم: الدعاء.

٣- قيل أن مفهوم الحديث مقصود؛ فمن لا يريد الله به خيرا لا يفقهه في الدين، وهذا المفهوم يحتاج إلى بعض الضوابط.

٤- الفقه المقصود في الحديث: الفقه العام في الدين بأصوله وفروعه ومجموع حقائقه، فيدخل فيه الإسلام والإيمان والإحسان والساعة لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل: {جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ} فسمى هذه المقامات كلها ديناً.

٥- إجراء العمل على مقتضى العلم يسمى فقها كقول ابن عباس عن معاوية لما أوتر بركعة: (إِنَّهُ فَقِيهٌ)، وبعبس ذلك قد يسلب عن الإنسان وصف الفقه في عمل أجراه على غير مقتضى ما ينبغي من العلم كما قال تعالى عن المنافقين: {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}.

٦- هناك ثلاث مقامات للعلم والفقه:

١- حفظ العلم ثم أدائه وتبليغه، وهذا مقام شريف من مقامات العلم غير أنه ليس من مقامات الفقه أو هو في أدنى ما يدخل تحته؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "رُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ".

٢- الفقه في الدين المتعلق بالناحية العلمية وما يتعلق بفهمه والاستنباط فيه، وهذا من صميم ما يدخل في الفقه في الدين.

٣- مقام الجمع بين الفهم والاستنباط وبين إجراء العمل على وفق ذلك الفقه، وهذا هو المقام الأعلى والأشرف، ومن هنا يتنزل تعريف العلماء للحكمة بأنها الفقه في الدين، فهم الذين جمعوا بين إصابة الحق وإجراء العمل على وفق هذه الإصابة.

٢- بيان العلم النافع:

١- قال سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.

١- امتداح العلم في كتاب الله ليس مطلقاً؛ بل يُمتدح لكونه باعثاً على العمل؛ فهنا امتدح الله أناساً صالحين عرفوا ما ينفعهم في

الآخرة فأقاموا ليلهم { **أَمَّنْ هُوَ قَبْتُ عَانَءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ** }.

٢- من ثمرات العلم النافع: أن ينعكس على صاحبه بالخشية من الله تعالى وحذر الآخرة؛ فيكون لذلك أثر عملي من قيام الليل.

٣- من أعظم صور العلم النافع: العلم بالله وبالآخرة، وهو من العلوم التي يزهد فيها كثير من طلاب العلم وينظر إليها على أنها متممة سلوكية؛ بينما هذا من أساس العلم وصميمه.

٤- قيام الليل له أكثر من إطار يُنظر إليه:

١- تثبيت القرآن ومراجعته، وفي الحديث: **"إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ"**.

٢- وسيلة للقرب من الله تعالى والأنس به، واستصلاح النفس والروح من خلال المناجاة.

٣- باعث الخوف؛ فقيام الليل من أهم ما يعصم من المخاوف الدنيوية كالفتن؛ مثل حديث: **"مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةُ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ"**، وكذلك يعصم من المخاوف الأخروية؛ مثل هذه الآية، وآية { **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** }.

٢- قال سبحانه: { **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** }.

الخشية في أعلى غايات الشرف؛ لأن الله تعالى جعلها مرتبطة باسم العلماء، ولأن الاعتبار يكون لأهل هذه الصفة { **سَيَذَكَّرُ مَنْ**

يَخْشَى} و **{إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}** فالخشية صفة مركزية في إمكان الاستفادة والاعتبار، وسبيلها العلم.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"**. أخرجه مسلم.

١- ينبغي أن يعلم الإنسان أن هذه الدنيا لا تستحق الإيغال فيها، وأنه يوما ما سيغادرها، قال الحسن البصري: (فَضَحَ الْمَوْتُ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَدَعْ لِذِي لُبٍّ فِيهَا فَرَحًا) فمن أعظم العلوم: العلم الذي يكتسب به الإنسان القدرة على حسن الانتقال بأمان.

٢- من الفقه العظيم في الدين: أن يُوفق العبد ليعمل بالأعمال التي تجري عليه الحسنات بعد موته، وهذه الأعمال الثلاث هي:

١- الصدقة الجارية: وهي التي يستمر الانتفاع بها مثل الأوقاف وحفر الآبار وبناء المساجد.

٢- العلم الذي ينتفع به: وفي هذا حثٌّ على النفع بالعلم وتبليغه وتأليف الكتب التي تنقل العلم، وكلما كان العلم الذي تركه أكثر استمرارا ونفعاً؛ فهو أكثر جريانا عليه بالحسنات، إذا كان الإنسان مخلصا مبتغيا بذلك وجه الله.

٣- الولد الصالح الذي يدعو له: وهذا فيه حث كبير على تربية الأولاد ليكونوا صالحين.

٤- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّعِبُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا". أخرجه مسلم.

١- هذا الدعاء عظيم جدا؛ ففيه ذكر لشيء شريف ثم ذكر لجانب ينبغي أن يحافظ عليه حتى يظل على تمام نفعه، فذكر العلم وقيده بالنافع، والقلب وقيده بالخاشع، والنفس وقيدها بالقناعة، والدعاء وقيده بالاستجابة.

٢- الشأن ليس في مطلق العلم؛ فقد يكون العلم أحيانا سببا لا غترار الإنسان أو ضلاله، أو يكون العلم في ذاته مضلا فيتعلم الإنسان ما يضره {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} فالشأن في العلم النافع ومن سبيل استحضار هذه الحقيقة هذا الدعاء.

٣- بيان ذم من لم يعمل بعلمه:

٤- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ

أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ". أخرجہ مسلم.

١- عندما كان أبو هريرة يحدث بهذا الحديث كان يشهق ويغمي عليه؛ فالحديث باعث على الخوف؛ لأنه في أناس اشتغلوا بأفضل الأعمال الأخروية، لكن المشكلة أن هذا العمل فقد روحه التي لا يقبل إلا بها وهي الإخلاص وابتغاء ما عند الله تعالى.

٢- النفس فيها شهوات، لكن إذا عود الإنسان نفسه دائماً على الإخلاص لله تعالى وعلى ترويض نفسه؛ سيجد أن قدرته على السيطرة على نفسه لتسير فيما يرضي الله تعالى هو أمر ليس بالصعب، بل لا يجد راحته إلا إذا كان العمل لله.

٣- لا تتعب وتعلم وتربي وتجاهد وتنفق؛ قبل أن تتحقق من الإخلاص ومن نيتك التي تبتغي بها وجه الله تعالى.



٨- باب فى مركزية العمل وأنه المقصود من العلم وتربية النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على العمل وإبعاده إياهم عن القيل والقال وكثرة السؤال

١- معنى الباب:

الدين ليس عبارة عن دروس نظرية فقط بل هو عمل وتفان،
والدليل على ذلك: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت
حياته كلها عملاً، ومن يلتزم قراءتها وتكرارها؛ فإنه يناله قبس
من النور الذي نال الصحابة بمصاحبتهم المباشرة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم.

٢- الآيات:

١- قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ
لَكُمْ سَوْءٌكُمْ}.

- ١- ليس من المحمود ولع الإنسان بتوليد الأسئلة دون تنبه
لكون السؤال محلاً للطرح أو هو مما ينبغي الإعراض عنه.
- ٢- عموم الآية مستعمل؛ فلما جاء رجل وسأل عن مسألة لم تقع
فقال: (أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيْقَتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ
كَيْفَ يَفْعَلُ؟) فسأل الصحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم
(فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا).

٢- قال سبحانه: **{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}**.

العلاقة بين الآية والباب: في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عِلْمٌ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ عز وجل لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: **{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}**)، ففيه نهي عن تقحم الإنسان فيما لا يعلم خاصة إذا كان للجدال، ولو أن الناس التزموا بهذا؛ لكان فيه قطع لكثير من موارد النزاع والكلام الزائد.

٣- قال سبحانه: **{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ}**.

٤- قال سبحانه عن موسى عليه السلام: **{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}**.

٥- قال سبحانه عن محمد صلى الله عليه وسلم: **{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**.

٣- الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- من أهم أسباب الهلاك: الإعراض عن المحكمات الواضحة، والتمسك بالخلافات النظرية والجدالات فالدين دين عمل، والأوامر الواضحة كثيرة وكذلك المنهيات.

٢- أحيانا ينبغي للداعية ألا يرد على سؤال من يناقش في المسائل الخلافية؛ بل يوجهه إلى التزام ما ينبغي التزامه، وفي ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: **"بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكْتَ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ"** وهذا يدل على كراهية النبي صلى الله عليه وسلم للنزاعات التي تحصل بين المؤمنين وخاصة في القضايا التي حقها التسليم والإيمان كمسائل القدر التي كانت الإجابات النبوية عنها: **"اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ"**.

٣- الفقه في الدين حقا: أن يلتزم الإنسان عمليا بمقتضى الأمر والنهي فهذا مقام أساسي في الدين من بداية الطريق حتى يلقي الله تعالى، وفي أثناء الطريق يتفقه ويزداد معرفة وعلمًا.

٤- من أبواب الفقه في الدين: الاعتبار بأحوال الأمم السابقة والحذر من التشبه بهم، وقال ابن تيمية: كان السلف، سفيان بن عيينة وغيره، يقولون: (من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى).

٢- عن كاتب المغيرة بن شعبة قال: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَتَبَ

إِلَيْهِ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ". أخرجه البخاري ومسلم.

- ١ - الأساس في الدين هو الامتثال، وحتى تُحمى هذه القاعدة؛ يُنهى عن أمور تخالفها مثل: القيل والقال وكثرة السؤال.
- ٢ - "كَثْرَةُ السُّؤَالِ": أي: سؤال الناس المال، أو كثرة الأسئلة؛ فكثرة السؤال والانشغال بالقليل والقال سبب لإهلاك الأمم، وهما مما يكرهه الله تعالى.
- ٣ - ينبغي التذكير بهذا الحديث في زمن شبكات التواصل التي تنفتح فيها شهوة زيادة الكلام والقليل والقال.

٣ - عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: (أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ). أخرجه مسلم.

- ١ - تربية النبي صلى الله عليه وسلم العملية؛ فصار معلوماً أن مَنْ هاجر لا يسأل بل يشتغل بالعمل؛ فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يحب لهم أن ينشغلوا عن العمل بالسؤال، أما الأعراب الذين يأتون من خارج المدينة فيسألون لأنهم لم يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً من الأمر والنهي، قال أنس: (نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ).

٢- المنهي عنه هنا: أن يكون الأساس عند الإنسان هو السؤال ولا يهم ما يسأل، فيكون الإنسان مشتتا وبنائوه غير منتظم ثم يسأل أسئلة نظرية تكون أحيانا بسبب الشيطان؛ وفي الحديث: **"يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُنْتِهِ".**

٤- عن أبي هريرة رضي الله عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا".** أخرجه مسلم.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدَّجَالُ وَالدُّخَانُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَأَمْرُ الْعَامَّةِ وَخُوصَّةُ أَحَدِكُمْ".** أخرجه مسلم.

١- سبب الحث على العمل والمبادرة به قبل الفتن:

أ- أن العمل وخاصة قيام الليل؛ سبب للوقاية من الفتن.

ب- المسارعة في استثمار أكبر ما يمكن من الوقت قبل أن تأتي الفتن التي يقل في وقتها العمل؛ وفي الحديث: **"الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ"**، فوقت الهرج ينشغل الناس فيه بالفتن.

٢- سرعة التحول من الإيمان إلى الكفر لم توجد قبلا في تاريخ الأمة، وهي موجودة في زماننا هذا؛ حيث سرعة التأثير بالشبهات والاتجاهات والإلحاد وبيع الدين من أجل الوظائف.

٣- "خُويصّة أَحَدِكُمْ" أي: الموت أو ما يُشغل الإنسان في خاصة أموره في حياته وأهله وماله، و"أَمْرَ الْعَامَّةِ" أي: القيامة أو الأمر العام الذي يمكن أن يشغل الناس عامة.

٤- أهمية الاستعداد للمستقبل وعدم الاغترار باللحظة الراهنة؛ فالأصل هو حدوث متغيرات بكثرة المشاغل والعوائق، وكلما ازداد الإنسان عمرا ازدادت انشغالاته، فإذا أدرك الإنسان هذا؛ حرص على أن يتزود من حال الرخاء لحال الشدة، وجعل حال الرخاء فرصة استثنائية للاستثمار الحقيقي في المستقبل القريب في الدنيا وفي المستقبل البعيد في الآخرة.

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ". أخرجه البخاري ومسلم.

حث المؤمن بأساس وأثمن ما يمتلكه وهو الإيمان؛ فإن كنت مؤمنا فقل خيرا أو اصمت.



٩- باب في صدق النية وأن العمل المقبول هو ما ابتغى به وجه الله تعالى ووافق السنة

١- الآية:

قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

- ١- الآية تُذكر في باب الشوق إلى الله تعالى والاستعداد للقاءه.
- ٢- اجتمعت صفتان في العمل الذي يستعد به المؤمن للقاء ربه:
 - ١- أن يكون صالحا مستمدا من نور الوحي.
 - ٢- أن يكون خالصا، فإذا كان العمل صالحا خالصا؛ فهو من أهم ما يدخر للقاء الله تعالى.

٢- الأحاديث:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَىٰ، فَمَنْ
كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَ
هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ
إِلَيْهِ". أخرجه البخاري ومسلم.

- ١ - اتفق أئمة الإسلام على تعظيم هذا الحديث، ووصفوه بأنه ثلث الإسلام، ومن أهم نتائج التربية الصحيحة: امتلاك الإنسان الفقه الذي يستطيع أن يحدد به أن هذا النص من المراكز فيستطيع أن يبني عليه القواعد الكبرى ويرد إليه المتشابهات.
- ٢ - على الرغم من كل التعب والنصب الذي في الهجرة؛ فهي لا تشفع لصاحبها إذا لم تكن لله، فهذا يرسخ ترسيخاً تاماً أن الشأن كل الشأن هو في النية.

٢ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **"أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكَتُهُ وَشِرْكُهُ"**. أخرجه مسلم.

- ١ - العمل المشوب بنية رياء حتى لو فيه تعب؛ فهو في حقيقته قبيح ويزداد سوءه أنه قُدِمَ إلى الغني الحميد، والله تعالى في كتابه دائماً يُقْبِحُ الشُّرْكَ وَيُضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ { **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا** }.

- ٢ - من أهم ما يدفع إلى تحقيق الإخلاص: معرفة الله تعالى؛ فكلما كان الإنسان بالله أعرف كان في عمله له أشد إخلاصاً، فإذا استحضر الإنسان أثناء العبادة مَنْ الذي يُقَدِّمُ إِلَيْهِ الْعَمَلَ، وأنه هو الله تعالى الغني الذي له صفات العظمة والكمال، فهذا الاستحضار؛ من أعظم ما يبعث الإنسان على الإخلاص.

٣- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي امْرَأَتِكَ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- كلما كان العمل أقرب للتعبد المحض والمشقة الكبيرة؛ فهو أدعى لأن يستحضر الإنسان فيه النية، وكلما كان العمل أسهل وأقرب للعادة؛ كان أصعب الاستحضر فيه.

٢- استتبط النووي من الحديث أن الحظّ إذا وافق الحق لا يقدح في ثوابه؛ فالعمل المعتاد يمكن الاحتساب فيه ويكون مصدرا من مصادر الأجر الأخروي، ويمكن أن يصل الإنسان إلى حالة من الربانية فينوي أن يستعين بنومه على العمل الصالح؛ فبهذا الاحتساب يؤجر على النوم، قال معاذ: (أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي) والتفاضل الحقيقي يوم القيامة هو بالنيّات.

٤- عن عتبان رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: **"لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ"**. أخرجه البخاري.

٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- لا إله إلا الله هي أساس الدين، وتضافرت النصوص في إبراز الأثر المترتب عليها، وأهمها في الدنيا: عصمة دم قائلها وماله، وفي الآخرة: عدم الخلود في النار.

٢- التنبيه على أهمية الإخلاص في التوحيد؛ فالعمل مهما كان معظمًا في الشريعة فإنما يقبل بابتغاء وجه الله تعالى.

٤- من أعظم الأمور لينجو المسلم في الآخرة هو أن يراجع إخلاصه؛ فإذا كان يؤدي أعمال اليوم والليلة مخلصًا مبتغيًا وجه الله؛ فليطمئن من هذه الجهة أنه يسير على خير.

٧- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمُسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: **"لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"**. أخرجه مسلم.

الأعمال المتعلقة بالإحسان إلى الناس هي من أفضل الأعمال؛ ولكنها ليست معتبرة في ذاتها من جهة النفع الأخروي إلا إذا كان يُبتغى بها وجه الله وكانت مصحوبة بتوحيد الله تعالى، فمدار الأمر على الإسلام والاستسلام لله تعالى.

٨- عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَحَدْتُكُمْ حَدِيثًا فَاخْضَوْهُ" فَقَالَ: "إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فَلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فَلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوَزْرُهُمَا سَوَاءٌ". أخرجه الترمذي.

١- "أَحَدْتُكُمْ حَدِيثًا فَاخْضَوْهُ": فيه:

أ- العناية بنقل السنّة وحفظها وإبلاغها، وفي الحديث: "نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ".

ب- التنبيه على أهمية هذا الحديث؛ حيث صدره بهذه الكلمة.

ج- بيان عدالة الصحابة؛ فالحثّ على الإبلاغ يتضمن عدالة المبلغ.

٢- أساس ذكر النية في الكتاب والسنّة: ما يتعلق بابتغاء وجه الله والإخلاص له.

٣- قد يبلغ الإنسان بنيته الصادقة ما يبلغه أصحاب الإمكانات في الأعمال الصالحة التي لا يمكن للإنسان أن يبلغها، ثم يفاجأ يوم القيامة بأجور أعمال لم يعملها ويكون السبب هو نيته التي علم الله صدقها.

٤- الذي ينفق وصادق النية يشتركان في أساس الأجر لكن قد يضاعف للأول الذي أنفق وبذل ما لا يضاعف في الأجر للثاني الذي نوى فقط.

٥- أهمية العلم بالنسبة للعامل، وأنه من أهم الأمور التي يمكن أن يوجه بها من يعمل بحيث يعمل بشكل صحيح يكون مقبولا عند الله تعالى.

٩- عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- وُصف الحديث بأنه ثلث الإسلام أو رُبعه.

٢- العمل الصالح إذا لم يكن صوابا فإنه مردود، لكن قد يؤجر على ما اجتهد فيه إذا لم يكن مقصرا في تتبع الحق.

٣- قدسية الشريعة ومكانة هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- من أعظم صور إرادة الخير بالإنسان المتفقه في الدين: أن يزداد فقها بهدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيزداد تأهلا للقرب من الله تعالى، ويجري عمله على ما يحب الله تعالى.

١٠- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ أَقْوَامًا خَلَفْنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا حَبْسَهُمُ الْعُذْرُ"**. أخرجه البخاري.

١١- عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ". أخرجَه مسلم.

يبلغ الإنسان بنيته أن يكتب له أجور ما لم يعمل؛ فمن كان صادق النية وصادق العزم في أن يكون مع المجاهدين والشهداء، والله يعلم أنه أراد وحاول ما استطاع؛ فيكتب له الأجر.



١٠ - باب أهمية استحضار الغاية، والحذر من مزاحمة الغايات الشريفة بالمطالب الدنيئة

١ - العلاقة بين هذا الباب وبين الباب السابق:

الباب السابق كان التركيز فيه على صدق النية. وهذا الباب التركيز فيه على أنواع الغايات التي تبتغى، والمطالب الدنيئة التي يمكن أن تزامم الغايات الشريفة؛ فالبايان متقاربان.

٢ - الآيات:

١ - قال الله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}. ومعنى يَشْرِي: يبيع.

ابتغاء رضوان الله هو أعلى ما يطلبه المؤمن في عمله، وكلما كان مستحضرا له؛ كلما تهون عليه المشاق ويسترخص الغالي والثمين لأن المطلوب أعلى وأثمن وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى.

٢ - قال سبحانه: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}.

{فِي سَبِيلِي}: أي: في سبيل طاعتي وإقامة ديني والثبات عليه؛ فهذا هو الغاية هنا.

٣- الأحاديث:

١- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنْ أَحَدُنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً؟ فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". أخرجه البخاري ومسلم.

٢- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم: "لَا شَيْءَ لَهُ". فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم: "لَا شَيْءَ لَهُ". ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ". أخرجه النسائي.

١- من أهم الغايات في طريق الجهاد في سبيل الله: أن تكون كلمة الله هي العليا؛ وهذا من أشرف ما يعيش الإنسان لأجله، ومن أهم ما ينبغي على العاملين لدين الله أن يتطلّبوا تحقيقه ويبدّلوا فيه الجهد.

٢- إذا كان الجهاد الذي فيه سفك الدم وتعريض النفس للتهلكة لا يكتب فيه الأجر إلا بإخلاص النية؛ فمن باب أولى ما دونه من الأعمال التي لا تتطلب جهدا كبيرا من الإنسان.

٣- قال ابن رجب عن الحديث الثاني: إسناده جيد.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بَأَن يَتَوَفَّاهُ: أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- **"وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ"**: إشارة إلى أن كثيرا من الناس يشارك في مثل هذه الأعمال ولا تكون نيته خالصة.

٢- من أفضل الأعمال التي يمكن أن يعملها الإنسان: الجهاد في سبيل الله حين يكون خالصا؛ وفي الحديث: **"مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"**.

٥- عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حَرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ"**. أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

١- الأمثال هي من الأساليب المستعملة كثيرا في الكتاب والسنة، وهي من جملة ما يقرب المعاني إلى الأذهان وتبقى راسخة فيه

فلا تُنسى، وهو مسلك ينبغي أن يسلكه أهل العلم؛ بتقريب أمثال القرآن والسنة أو بإنشاء أمثال تناسب أحوال الأزمنة لتقريب حقائق الشريعة، والجمع بين الأمرين هو الأفضل.

٢- هناك صورة من الفساد قد لا ينتبه إليها البعض، وأمران يُرسلان على أمر شريف فيفسدانه ويفتكان به فتكا وإفسادهما ليس بأقل من إفساد الذئبين للأغنام، فالأمران هما الحرص على المال والحرص على الشرف، والأمر الشريف العزيز هو الدين.

٣- هناك ثلاثة أبواب يجب أن يحرص الإنسان عليها في طريق استقامته: باب في إنشاء الطاعة، وباب في الثبات عليها، وباب في حمايتها من الفساد، وهذا يقتضي أن يظل الإنسان يقظا ومجاهدا لنفسه وللشيطان ولكل ما يمكن أن يفسد يفسد عليه دينه، فمن المهم أن يعرف أبواب الفساد والإشكالات؛ ليحذر منها.

٤- مما يظهر الإنسان من المفسدات المالية: كثرة الإنفاق والصدقة.

٥- باب الشرف والمكانة قد يكون ممتدحا حين يكون وسيلة للدعوة إلى الله وإقامة الدين، ولكن الأصل أن حرص المرء على الشرف مذموم، وفي الحديث: **"لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكُنْتَ إِلَيْهَا"**، والشرف قد يكون حرصا على سمعة ومكانة اجتماعية؛ بحيث يتشبث بها، ويرضى ويغضب لهذه المكانة؛ ولذلك جاء الامتداح للصورة المعاكسة كما في حديث: **"طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ**

فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ".

٦- كلما كان استحضر الإنسان للغايات الشريفة ودوام تذكرها وحضورها أعلى؛ كان تنبهه للمفسدات التي يمكن أن تدخل على دينه فتفسده أكبر وأشد، وكلما كان استحضر الغايات الشريفة أقل وأضعف؛ سهل على المصادر المفسدة أن تتسلل على دين الإنسان فتفسده وتلتهم منه وهو لا يشعر، فإذا أفسد من دينه ومن صلاح حاله الداخلي؛ يتآكل داخليا ويذهب قوامه الحقيقي ثم ينعكس ذلك على الأعمال الخارجية، ثم يفسد شيئا فشيئا حتى يصل إلى حالة من الفساد العريض سببها أنه لم يكن يقظا على ما يفسد عليه دينه ويتسلل إلى أثمن ما يملك وهو الدين، وهذا في غاية الأهمية والخطورة.



١١ - باب فى تحمل الفرد مسؤولية التكليف تجاه نفسه وغيره

١ - علاقة الباب بغيره من الأبواب:

هو باب واصل بين ما مضى من الأبواب وبين ما سيأتى؛ فالأبواب السابقة كانت عن مرجعية الوحي وتعظيمها، ثم تزكية النفس، ثم أهمية العلم والعمل، ثم النية والغايات الشريفة، ثم بعد أن عرف الإنسان كل هذا يأتى هذا الباب والذي بعده لبيان: أن العمل للإسلام هو مسؤولية على الشخص في نفسه يجب أن يتحملها، وهذا لا ينبغي أن يصرفه عن المسؤولية المطالب بها تجاه نفسه وغيره من الدوائر القريبة مثل الأسرة والأبناء.

٢ - الآيات:

١ - قال الله سبحانه وتعالى: **"فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ"**.

١ - الجمع بين المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين **"فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"**، وبين الواجب الشخصي تجاه المسؤوليات العامة **"لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ"**.

٢- النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في حياته باعتبارين:
الأول: أنه عبد مكلف، والآخر: أنه نبي مبلغ؛ ولذلك كان النبي
صلى الله عليه وسلم أول المسلمين والممتثلين لأوامر الله.

٣- في أحداث الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة
تُدرس في العزة والإصرار؛ فقال صلى الله عليه وسلم: **"وَإِنْ هُمْ
أَبَوْا" - أي: إن أبت قريش الصلح - "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي".**

السالفة: صفحة العنق، و**"تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي"** فسرت بمعنىين:
الأول: تسقط سالفتي وتُفصل؛ أي: أقتل، الآخر: أنه يُقاتل حتى
ينفرد وحده في مقاتلته؛ أي: فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على
أمرى هذا حتى ولو بقيت وحيدا في مقاتلتهم.

٤- أهمية استحضار الآية في السياقات العلمية والإصلاحية، فلا
يتحجج الإنسان بكثرة المشاكل وقلة العاملين وتنوع الفتن؛ فالله
تعالى لا يكلفك أن تغير هذا الواقع كله ولكن في نفس الوقت لا
يسقط عنك التكليف والمسؤولية التي تستطيع أن تعملها.

٢- قال تعالى: **{وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}**.

٣- قال تعالى: **{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}**.

الإنسان عليه مسؤولية تجاه نفسه؛ لأنه في دار مبتلى فيها ثم
سيوافي الله تعالى بمفرده يوما؛ ليسأله عن نتائج هذا الابتلاء.

٣- الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} قَالَ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ" أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا "اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا". أخرجه البخاري ومسلم.

١- من أول أيام النبوة يأتي تأسيس مسئولية الإنسان تجاه نفسه، والتنبيه على أن القرابة لا تسقط المسؤولية.

٢- "اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ": إدراك أن النفس من الممكن أن تذهب إلى عذاب الله، فأنت تشتريها وتخلصها؛ وتضحى لذلك.

٢- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- كل ما ائتمن الإنسان عليه بوصية الله في حفظه ورعايته؛ فهو مسؤول عنه، وتزداد المسؤولية بقدر التكاليف التي تدخل

تحت هذه الرعية، فمن يقوم ولو جزئياً بتبليغ الدين والدفاع عنه؛ مسؤوليته عظيمة أمام الله تعالى، وتتضاعف في حقه بعض الواجبات وتتأكد وكذلك تتضاعف الذنوب.

٢- من المسؤوليات الكبرى التي يغفل عنها الناس: المال، وفي الحديث: **"قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةٌ مِّنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ"**، فأصحاب الجد والغنى محبوسون لأن عليهم مسئوليات مالية كثيرة يحاسبون عليها، فإذا نظر الإنسان إلى المال نظرة مسئولية فإنه سيرتاح في الآخرة، وهكذا في بقية مسؤولياته.

٣- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: **"غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَجِيجَ نَفْسِهِ"**. أخرجه مسلم.

١- أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم البياني؛ فكان الصحابة يشعرون كأنهم يرون ما يحدثهم به، وقال حنظلة: (يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ)، فينبغي أن يحرص المؤمنون على المجالس التي تزيد الإيمان وتذكر بالرحمن، وأن يحاول أن يبقى قلبه مستحضراً لهذه المعاني حتى يصل إلى مراقبة الله في أفعاله ويستشعر المسؤولية، والحرمان كل الحرمان أن تتحول المجالس الشرعية إلى معلومات معرفية مجردة؛ فالأمر في دين الله متعلق بالقلب تعلقاً وثيقاً.

٢- الدجال هو الفتنة التي حذر منها الأنبياء، ومع ما لديه من الخوارق والفتن؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"فَأَمْرُو حَجِيجُ نَفْسِهِ"**؛ فمن باب أولى أن يكون كل امرئ حجيج نفسه فيما دون الدجال من الفتنة.

٤- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانُ فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشَأمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- تحمل الإنسان المسؤولية تجاه نفسه؛ فسيأتي ذلك المقام الذي كل واحد منا سيكلّمه ربه تعالى في يوم قد أكثر الله من ذكره والتحذير منه.

٢- واحدة من الوسائل التي يُتقى بها العذاب: الصدقة، وذكر أدنى ما يمكن أن يُتصدق به وهو شِقِّ تَمْرَةٍ؛ ولكن هذا ميزانه عند الله تعالى مختلف عن الحسابات الدقيقة التي يقيس الإنسان بها؛ فالله تعالى يريد منك أن تعمل ما تستطيع وهو تعالى ينمي الصدقة ويربّيها كما في الحديث: **"مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ"**.



١٢ - باب فى المسئولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين

١ - قبل الدخول فى الباب:

من أصول الإسلام الكبرى تعظيم الكتاب والسنة ودوام الدوران في فلكهما، ومن تراه محتفيا بالكتاب والسنة وتجد أن لهما أثرا في حياته وفي سلوكه إلى الله تعالى؛ فهذا من علامات الخير والتوفيق، ومن تجد أن حفاوته بكلام العلماء ولا تجد له حفاوة حقيقية في الاهتداء بالكتاب وبالسنة؛ فلا شك أن طريقه فيه نقص، وتمام الأمر هو أن ينطلق الإنسان من الكتاب والسنة ويستنير بكلام أهل العلم.

٢ - تصورات خاطئة فى هذا الباب:

- ١ - أن يُظن أنه موضوع عصري ليس له أصول في الكتاب والسنة وليس من هدي السلف، ويتم التزهيد فيه.
- ٢ - أن يُظن أن العقيدة مجرد مجموعة اعتقادات نظرية، أما نصره الإسلام والمسلمين فهي أمور سياسية وحركية.
- ٣ - أن تكون عقيدة الولاء والبراء مقتصرة فقط على جانب البراء والتكفير والتبديع.

٤- أن يكون الولاء بين المؤمنين على جماعة معينة يُوالى ويُعادى عليها.

٥- محاربة مفهوم الانتماء للأمة الإسلامية وتقديم الانتماء الوطني عليه.

الرد على هؤلاء:

١- أن الاهتمام بقضايا الأمة وبنصرة الإسلام والمسلمين من القضايا الكبرى في الدين ولها ارتباط وثيق بالعقيدة، ومن التحريف للدين تهميش هذا الباب ورميه بألفاظ مثل الحركية أو أن هذا باب سياسة.

٢- كما أن الخلل في عقائد الأبواب النظرية يعتبر خللاً مشكلاً يستحق المعالجة؛ فكذا الخلل في باب العمل للإسلام ونصرة قضايا المؤمنين وقضايا الأمة، فكل البابين من أبواب العقيدة، ومن التلبيس التفريق بينهما.

٣- التعاطف مع مَنْ يكون عنده خطأ في هذا الباب؛ يكون خللاً في قضية متصلة بالعقيدة تحتاج إلى معالجة؛ فضلاً عما لو كان وجهه ضد هذه الأمة الإسلامية وهذا موجود حتى في بعض ممن يتغنى بقضية العقيدة.

٤- الشريعة لم تلغ انتماء الإنسان لبلده أو قبيلته؛ لكنها جعلت الأولوية للأخوة الإيمانية، وعند التعارض والتناقض تسقط أي أخوة أخرى دونها.

٣- الآيات:

١- قال الله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا}.
تأسيس لأهمية العمل في سبيل المستضعفين من المؤمنين، وأن من يهتم لأمرهم؛ فهو مهتم بما حض الله وأكد عليه في كتابه.

٢- قال سبحانه: {وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}.
أول الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}.

١- الولاء العام بين المؤمنين ثابت، ولكن هنا يأتي إبراز صفات معينة متعلقة بنصرة الإسلام وقضايا الأمة؛ توجب مزيداً من هذا الولاء هي الهجرة والجهاد والإيواء والنصرة.

٢- لما أخل بشرط الهجرة الذين آمنوا ولم يهاجروا؛ لم يُسقط عنهم واجب النصرة لهم، لكنها تكون بدرجة أدنى؛ فالأصل هو النصرة إلا إذا كان هناك ميثاق مع قومهم الكفار.

٣- المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين ليست متعلقة فقط بالنصيحة وإنكار المنكر؛ فهناك صور أخرى مهمة جداً وهي قضية نصره المؤمنين، ومن جملة إنكار المنكر بالاسم العام رفع الظلم عن المسلمين.

٤- وجوه أفضلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومركزيته وقيمته في الإسلام:

١- أنه سمة من سمات هذه الأمة ومن أول ما ذكره الله في صفاتها وأسباب خيريتها:

قال سبحانه ذاما بني إسرائيل: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ} وامتدح الله هذه الأمة بقوله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}.

٢- أنه سبب لنجاة المجتمع العامة من العذاب:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا". أخرجه البخاري.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرُؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِيهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ". أخرجه أحمد.

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: استَيَقِظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ" - وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً - قِيلَ: أَنَّهُ لَكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ". أخرجه البخاري ومسلم.

١ - خطورة ترك الفساد والظلم بلا نكير؛ لأنها سبب للعقاب الإلهي العام، وأحيانا يجب الأخذ على يد السفية وقصير النظر ولو بشيء من الحزم حتى لا تغرق سفينة المجتمع.

٢ - العقاب العام قد يكون بابتلاء المجتمع بزوال الأمن وتقلب الأحوال {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ، وقد يكون بتسليط الأعداء على هذه الأمة، كما حصل في التاريخ كثيرا.

٣ - تصرف أبي بكر الصديق؛ ينبغي أن يكون نبراسا للعلماء، فإذا كان هناك نص يحصل بسببه التباس؛ يُفَكَّ هذا الالتباس، والحديث هو أول حديث في مسند أحمد؛ وهو صحيح الإسناد؛ لكن اختلف هل هو من كلام أبي بكر أم مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، ورجح الدارقطني أن كلا الوجهين صحيح.

٣- الأمر بتغيير المنكر:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"**. أخرجه مسلم.

١- إنكار المنكر يتطلب: معرفة بمراتب الشريعة، وفقها في الدين، وطرق اكتساب فقه الأمر المعروف والنهي عن المنكر:

أ- الطريق العام الشمولي النافع جدا: التفقه في هدي الأنبياء وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن سيرتهم هي سيرة أمر بمعروف ونهي عن منكر، فكلما كان الإنسان بسيرة الأنبياء أفقه؛ كان أحرى به أن يصيب الحق في هذا الباب.

ب- الطريق المباشر: اعتنى العلماء بهذه القضية بالتأليف والكتابة المباشرة فيها.

٢- من فقه الأمر المعروف والنهي عن المنكر: أنه يكون بحسب الاستطاعة، ولكن مهم أن يبقى الحد الأدنى وهو الإنكار بالقلب.

٣- أنه من موجبات الأخوة الإيمانية:

٥- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- أبرزت الأخوة الإيمانية في أعلى صورها بالتشبيه بجسد واحد؛ فهذا أبلغ في تأسيس عقد الموالاة والمحبة بين المؤمنين، وفي لفظ مسلم: **"الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ"**.

٢- من أهم أولويات الإصلاح في هذه المرحلة: المحافظة على مبدأ الأخوة الإيمانية وعدم الاستسلام لهذه الحرب التي يُشوه بها مفهوم الانتماء للأمة الإسلامية؛ ويُصور بأنه دعاوى حزبية فهذا انتكاس في فهم الدين؛ بل إن من أصول الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة الموافقة لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وللقرون المفضلة: تأسيس الولاء بين المؤمنين والتعاطف والتناصر بينهم والتراحم فيما بينهم.



١٣ - باب في مركزية اتباع هدي الأنبياء وأهميته للمصلح في عبادته ودعوته وصبره

أهمية معرفة هدي الأنبياء:

١ - أنه سبب للبصيرة التي تثبت المصلح على مواجهة الشدائد:

قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

مما يستفاد من هدي الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله: أن يكون الداعي على بصيرة وبينة من أمره، والله تعالى كان يخاطب أنبياءه بما يثبت يقينهم: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} ، وأعطى موسى الآيات ثم قال: {لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى} ، وفي شأن محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن عرج الله به إلى السماء قال: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} ؛ فيحتاج الداعي إلى زاد وعلم وبناء.

٢ - أنه سبب للاقتداء بهداهم:

قال سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}.

بيان قيمة الهداية؛ حيث وُصف الأنبياء بأن الله هداهم، فيكونون محلاً للاقتداء بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك لأمته.

٣- أنه سبب لاستحضار كوننا على دين النبي صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من أنبياء وعلى طريقته ومنهجهم:

قال سبحانه: {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

٤- استحضار هديهم سبب للتصبر عند الابتلاءات:

قال سبحانه: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} وقال سبحانه: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَعَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- النبي صلى الله عليه وسلم ابتلي بأنواع من الابتلاءات فابتلي من المشركين ومن المنافقين، ومن جهل الأعراب الذين

لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، وابتلي ببعض الإشكالات التي حصلت من أصحابه الذين قد يخطؤون وهم لا يريدون الخطأ، وابتلي بالمرض، فكان النبي صلى الله عليه وسلم في كل هذا؛ صابرا بل بحد ذاته أنموذجا في الصبر.

٢- من يسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ويريد أن يكون له دور في نصره هذا الدين؛ لا بد أن يكون دائم الاستحضار لما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله، حتى إذا مرّ بمواقف فيها شدة وابتلاء؛ تذكر هذا الهدي فاستمد منه الصبر والثبات، وقلة من الناس يستطيع أن يحول هذا الكلام إلى حقيقة عملية في أوقات الابتلاء الحقيقي؛ فليس من السهل في أوقات الشدائد أن تستحضر الحقائق.

٣- هدي الأنبياء يكون أيضا في الافتقار إلى الله والثبات على الدين {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} ومحل الامتحان الحقيقي هو أن تحقق هذه القضايا النظرية إلى حقائق عملية في طريقك إلى الله تعالى؛ وهو أمر صعب يحتاج إلى قوة اليقين بهذا الحق، وبكمال هدي الأنبياء، ثم تمام التوكل على الله في تحقيق هذا الاهتداء العملي.

٤- (فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ) هذه الكلمة هي أشد على النبي صلى الله عليه وسلم من كثير من الشدائد التي تعرض لها؛ لأن التشكيك في الأمانة من أكثر ما يؤلم ذوي الأمانة، والنبي صلى الله عليه وسلم في غاية الصدق والأمانة ثم يأتي من يطعن في أمانته تحديدا؛ فهذا في غاية الألم.

٥- أنه سبب لاتباعهم في عبادتهم:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- المؤمن يحتاج إلى هدي الأنبياء في مختلف شؤونه في التعبد والتضحية والبذل والصبر على طول الطريق.

٢- لا يكن حظك من علوم الإسلام هو مجموعة كتب متفرقة والمحافظة على بعض الأمور التعبدية الأساسية فقط، فإذا أردت زكاء نفسك وصلاح أحوالك حقاً؛ فلا بد أن يكون لك ارتباط دائم بكتاب الله تعالى وبهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.



٤١ - باب فضل الإصلاح والدعوة إلى الله تعالى، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١ - القدوة في الدين على قسمين:

١ - القدوة الشمولية: فيكون قدوة في عامة شأنه بحيث يُقتدى به في هديه وأخلاقه وعلمه، وهذه القدوة لا تكون إلا لصاحب علم بميراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكل من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالإقتداء الشمولي بهم ليس اقتداء مطلقاً بل هو مقيد بموافقة هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - القدوة الجزئية في باب معين: يمكن للإنسان وإن لم يكن واسع العلم أن يكون قدوة في الدين في باب من أبوابه. والإنسان إذا لم يكن قابلاً لأن يكون قدوة؛ فلا أقل من أن يكون محباً لأهل العلم والقدوة في الدين.

٢ - الآيات:

١ - قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.

١ - الدعوة إلى الله تعالى واسعة، وقد ذكر ابن سعد رحمه الله أنواعاً منها: تعليم الجاهلين، ومجادلة المبطلين، والأمر بعبادة

الله، والزجر عما نهى الله عنه، فالدعوة إلى الله بهذه الشمولية يُفهم منها سعة الأبواب التي يمكن أن يكون الإنسان فيها قدوة.

٢- القدوة في الدين تكون بأمرين:

أ- القدوة القولية بالدعوة إلى الخير؛ فيقتدي الناس بما دعا إليه.

ب- القدوة العملية بأن يكون قدوة بعمله.

والأكمل هو الجمع بين الأمرين بأن يكون إماما في الدين بقوله وبعمله، قال الشاطبي رحمه الله: (الْمُنْتَصِبُ لِلنَّاسِ فِي بَيَانِ الدِّينِ مُنْتَصِبٌ لَهُمْ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ؛ فَإِنَّهُ وَارِثُ النَّبِيِّ، وَالنَّبِيُّ كَانَ مُبَيِّنًا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ؛ فَكَذَلِكَ الْوَارِثُ لَا بَدَأَ أَنْ يَقُومَ مَقَامَ الْمُرُوثِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ وَارِثًا عَلَى الْحَقِيقَةِ).

٣- {وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}: هذه صورة من صور الاعتزاز قد تدخل في باب أن يكون الإنسان قدوة بعمله، وقال ابن عاشور رحمه الله: (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْزَعٌ عَظِيمٌ لِفَضِيلَةِ عُلَمَاءِ الدِّينِ الَّذِينَ بَيَّنُّوا السُّنَنَ وَوَضَّحُوا أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ وَاجْتَهَدُوا فِي التَّوَصُّلِ إِلَى مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى).

٢- قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.

١- بيان: وجود أئمة في الدين {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً}، دورهم الأساسي {يَهْدُونَ}، ومرجعيتهم {بِأَمْرِنَا}، والطريق الموصل إلى منزلة الإمامة {لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.

٢- العلم مرتبط بالصبر واليقين ارتباطا وثيقا؛ قال ابن سعدي رحمه الله في هذه الآية: (نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، **{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ}** أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام الموجب للعمل).

٣- قال سبحانه: **{وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}**.

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين، وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة في أقوالهم وأفعالهم، وهذه الدرجة لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ}** فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلا).

٤- قال تعالى: **{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}**.

قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: (كُونُوا أَيُّهَا النَّاسُ سَادَةَ النَّاسِ وَقَادَتَهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ).

٥- قال سبحانه: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}**.

٦- قال سبحانه: {يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.

٧- قال سبحانه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}.

٨- قال جل وعلا: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ}.

٣- الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا". أخرجه مسلم.

٢- عن جرير رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ". أخرجه مسلم.

١- إثبات القدوة الجزئية بالدعوة إلى شيء من الخير.

٢- كل أعمال المدعوين تكتب لهم ويكتب للداعي أيضا مثلها؛ ففيه حث عظيم على أن يكون الإنسان قدوة في الدين، وأن يطلب العلم ليكون داعيا إلى الله تعالى {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}.

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَا عَا يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"**. أخرجه البخاري ومسلم.

خطورة منزلة العلماء، وأنها منزلة فيها رعاية للدين وحماية له، وصاحب هذه المنزلة ينبغي أن ينتبه لها ويخاف أن يكون ممن ذمهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **"فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"**.

٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: **"لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"**. قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: **"أَيُّنَ عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ"** فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ. فَأَتِي بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: **"انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- حين يُذكر الإنسان بصفة يكون غيره مشتركاً معه فيها، ثم يُذكر بتفضيل يكون سببه هذه الصفة؛ فالمقصود: هو الدرجة في

هذه الصفة، فهنا من أبرز صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه محقق للدرجة العالية من محبة الله ورسوله، وأنه عند الله ورسوله بمكان.

٢- من علامات ربانية هذا الدين: أنه رغم كل القتال في خير؛ تكون الوصية لحامل الراية: **"ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ"** فلو أن اليهود كانوا أسلموا لانتهى القتال ورجع المسلمون بدون غنائم، وهذا ليس خاصا باليهود فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للسرية: **"وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ"** فالمقصد الأعظم هو تحقيق العبودية لله تعالى.

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **"وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟"** قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **"أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"** قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"** قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. أخرجه البخاري ومسلم.

١- النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجه من حوله ويلفت انتباههم إلى ما ينفعهم.

٢- من أجل الأعمال التي يريجوها الإنسان عند الله: هو حبه لله ولرسوله وللمن سار على دربهم من الصالحين وأئمة المسلمين.

عن البراء رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ
فِي الْأَنْصَارِ "لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ مِّنْ أَحَبَّهُمْ
أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- السبب في حصول الأنصار على هذه المنزلة: نصرتهم لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى صارت لقبا عليهم.

٢- أنصار هذا الدين السائرين على طريق النبي صلى الله عليه
وسلم يصح أن يقال فيهم أن حبهم من الإيمان وذلك من باب
الرجاء؛ لأنه لم يأت نص في أعيانهم.



١٥ - باب في صفات المصلحين وما ينبغي أن يكون عليه العاملون للإسلام

صفات المصلحين:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} وقال سبحانه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}.

الله تعالى جعل في القيام بصلاح الأرض قوانين منها: أن الذين يصلحونها هم من البشر الذين يعطيهم الله قوة من عنده حين يسيرون على صفات معينة، فالسبيل إلى الإصلاح هو بالإتيان بهؤلاء القوم وصناعتهم وتهيئتهم، فإذا جاؤوا وسلكوا السنن التي يحبها الله تعالى؛ فالله تعالى هو الذي يمدهم ويعينهم ويبصرهم. والصفات في الآية الأولى هي في سياق الاستبدال الإلهي لأناس ارتدوا عن دينهم ثم يأتي أناس ينصرون دين الله، فهذه الصفات مركزية في المصلحين وهي التي عليها الشأن والمدار.

١ - حُبَّ الله تعالى {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}:

هذه من أهم الصفات في المصلحين، ويدخل تحتها التزكية والعبودية لله والعناية بالصفات القلبية، والذي يفصل هذه الصفة عن تكوين المصلحين؛ فقد فصل بين ما وصله الله تعالى.

٢ و ٣- لين ولطف ورحمة وذلة على المؤمنين، وعزة وشدة على الكافرين {أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}، {أَشَدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}:

وموجب هذا التنوع هو {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}؛ فلأن المؤمنين محل لمحبة الله تعالى؛ فالمؤمن يحبهم، ولأن الكافرين محل لبغض الله تعالى؛ فالمؤمن يبغضهم ويكون شديدا عليهم، فالعبودية والحب لله هي المحور الذي يولد حوله كل الصفات الأخرى.

٤- المجاهدة في سبيل الله {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}:

وهذه أيضا مرتبطة بالحب لله؛ لما في قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} فالمحرك الأساسي للمصلح على أن يضحي في سبيل الله وأن يبذل من جهده ووقته؛ هو محبته لله تعالى.

٥- عدم خوف لوم اللائم {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}:

فلأنهم يحبون الله ويقدمون هذه المحبة على كل شيء؛ يُقدمون على ما أمر الله تعالى به ولو كانت النتيجة لوم اللائمين.

ومتى ما كانت محبة العبد لربه دافعة له لنصرة دينه والتضحية في سبيله والصبر على الشدائد؛ فهذا مقياس على أن المحبة تسير في الطريق الصحيح، ومتى كانت المحبة عازلة للإنسان عن العمل لدين الله تعالى والصبر على البلاء؛ فهذا فيه إشكال.

٦- الإكثار من الصلاة {تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}:

الصلاة من أعظم شعارات وأعمال المحبين لله تعالى؛ فكأن هذا الشعور الذي يخرج من القلب في محبة الله تعالى؛ لا يحتويه عمليا إلا السجود الذي يسكب ما في القلب من محبة الله تعالى لتفويض على بقية الروح والجسد.

قال سبحانه: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} وقال سبحانه على لسان يوسف: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَا عَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا

رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَتْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: "لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ" فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ"، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ". أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ". أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

النبي صلى الله عليه وسلم كان منتبها لصفات أصحابه وكان يُكَلِّفُهُمْ بِنَاءَ عَلَى ذَلِكَ، وَمَتَى كَانَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَطُلَابِهِمْ عِلَاقَةً تَدَاوُلُ الْمَعْلُومَةَ فَقَطْ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صَحْبَةٌ أَوْ اهْتِمَامٌ بِالسَّمَاتِ؛ كَانَ هُنَاكَ فَقْدَانُ لِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ بِنَاءِ الْمَصْلُحِينَ.

٧- الأمانة {إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}، {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ}، "لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ":

صفة الأمانة من الصفات المهمة التي يُكلف بسببها المصلح، والجانب المالي يحتاج ويتطلب قدرا أكبر من الأمانة.

٨- القوة: وأهمها القوة المعنوية {إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ} "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ" ثم البدنية {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ}:

قال النووي في حديث "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ": (وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا عَزِيمَةُ النَّفْسِ وَالْقَرِيحَةُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ فَيَكُونُ أَشَدَّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى

وَاحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ
وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا).

٩- العلم {إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ}، {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ}:

مركزية العلم في السياق الإصلاحي.

١٠- الصبر:

قال سبحانه: {وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ} وقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا
صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} وقال سبحانه: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ
أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} وقال سبحانه: {قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

١- في الآية الأولى عدم الوهن ولا الضعف ولا الاستكانة؛ يبين
أن البلاء كان شديداً ومع ذلك كان الصبر شمولياً عجبياً، وفي
الآية الثانية بيان أن الوصول إلى حالة الإمامة في الدين لا يمكن
أن يكون بدون صبر، وهذه الآية في بني إسرائيل الذين كانوا
أمة في غاية الاستضعاف، ثم بعد أنجاهم الله؛ ذكر خلاصة
الطريق الذي به أورثوا الأرض: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى
عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} فالصبر بالنسبة لطريق الإصلاح
هو الرفيق المصاحب، فإن كنت تريد أن تكون مصلحاً متبعاً
للأنبياء وسبباً في نهضة المسلمين؛ فوطن نفسك على الصبر.

٢- أهمية معرفة قصص النبيين والمصلحين وحملة الدين ثم استحضار ما جرى لهم واستجلاب هذه الأحداث عند النوازل والشدائد؛ وهذا التذكر من أهم ما يعين على الصبر والثبات؛ [وقال بعضُ العارفين: (الْحِكَايَاتُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ يُنَبِّتُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَ الْمُرِيدِينَ) ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}].

١١- اليقين {بآياتنا يوقنون}، {الذين يظنون أنهم ملاقو الله}.

١٢- الربانية:

قال سبحانه: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}.

هذه الآية من أهم الآيات وأدللها على صناعة المصلحين، وأن صناعتهم هي منهج للأنبياء؛ فهنا النبي يقول لقومه المؤمنين: {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} والربانية مأخوذة من الربان الذي يقود، قال الطبري في الآية: (كُونُوا أَيُّهَا النَّاسُ سَادَةَ النَّاسِ وَقَادَتَهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، رَبَّانِيِّينَ بِتَعْلِيمِكُمْ إِيَّاهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَفَرَضٍ وَنَدْبٍ، وَسَائِرِ مَا حَوَاهُ مِنْ مَعَانِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَبِتَلَاوَتِكُمْ إِيَّاهُ وَدِرَاسَتِكُمْوَهُ) فالعلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيا، فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود؛ فقد ضاع علمه وخاب سعيه.

١٣ - الصدق:

قال سبحانه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}.

١٤ - الثبات والاستمرار والاعتماد والتوكل على الله تعالى:

عن معاوية رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ". أخرجه البخاري ومسلم.

{قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ} فيه المحافظة على ما جاء في الكتاب والسنة، وفيه التبشير أن هذه الأمة لن يُقضى عليها وسيبقى فيها من يقوم بأمر الله إلى آخر الزمان.

١٥ - العمل بالعلم:

عن أسامة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَيَتَدَلَّقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَتِيهِ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- إذا كان شعار الإنسان هو القول بلا عمل فلينتبه لأن هذا الحديث خطير ومخيف في قضية "كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا

آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ والعقوبة والعذاب تفصيلي
يصف منظرا لا يستطيع الإنسان أن يتخيل كيف يمكن أن تمر
عليه لحظة يمكن أن يعيش فيها هذا المشهد.

٢- من أهم ما يمكن أن يزرع الإنسان عما حرم الله تعالى؛ أن
يستحضر الدار الآخر ويستحضر العذاب، ويؤمن أن الذي
سيعذب بالنار ليسوا المشركين فقط؛ وإنما هناك أناس من
الموحيين سيدخلون النار ثم سيخرجون بالشفاعة، وتذكر النار
والآخرة هو الذي أرق الصالحين على مر التاريخ.

١٦ - الحلم والشفقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
"مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. **فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ،**
كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ". أخرجه البخاري.

الحكمة في رعي الأنبياء الغنم قبل النبوة:

التمرُّن برعيها على القيام بأمر أمتهم، فإذا صبروا على رعيها،
وجَمَعها بعد تفرُّقها في المرعى، وعَلِمُوا ضعفها واحتياجها إلى
المعاهدة؛ أَلْفُوا من ذلك الصبر على الأمة فأحسنُوا التعاهد لها؛
فيكون تحمُّلُهم لِمَشَقَّة ذلك أسهل؛ لِمَا يحصلُ لهم من التدرُّج على
ذلك برعي الغنم.



١٦ - باب في أهمية الوعي بسبيل المجرمين والحذر من أعداء الإسلام وكيدهم والتنبه من مكر المنافقين

١ - عنوان الباب:

- ١ - أهمية الوعي، وبيان أن هذا الباب هو مقصد من مقاصد الوحي لا يستغني عنه المصلح في تكوينه وبناءه، وطريقه الإصلاح من جهة الأداء.
- ٢ - نحن في زمن تطورت فيه وسائل الأعداء بصورة لا تقارن بالماضي، فيحتاج المصلحون إلى إِبصار حقيقة الأعداء وكيدهم بالإسلام ومقاصدهم وأدواتهم؛ حتى لا يُؤتون من غفلتهم.

٢ - الآيات:

١ - قال الله سبحانه وتعالى: {وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}.

- ١ - جاء الوحي لمعالجة معنى التباس الحق بالباطل، ولذلك عند الحديث عن أهل الكتاب يكثر التحذير من هذه القضية.
- ٢ - الآية في سورة الأنعام التي فيها تطبيق عملي لبيان سبيل المجرمين وبيان لكثير من أحوال المشركين وأقوالهم.

٢- قال سبحانه: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}.

مقدار التفصيل الإلهي في الأمر بالحذر واليقظة للمؤمنين في سياق أدائهم للعبادة أثناء قتالهم للكفار، فحتى مع كونهم في شغل الصلاة يحذرون من الغفلة عن الأسلحة.

٣- قال سبحانه: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

٤- قال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}

١- تنبيه للمؤمنين إلى العناية بالمقاصد، وأن الأدوات الصالحة لا تشفع لصاحبها إذا كانت المقاصد فاسدة.

٢- وسيلة الحلف بالله كذبا هي وسيلة ذكرها الله تعالى مرارا عن المنافقين، والأصل أن يأخذ الإنسان بالظاهر؛ ولكن في نفس الوقت لا يكون هناك اغترار، ومن أهم المؤشرات التي يُعلم من خلالها الكاذب: عرض القول على العمل فيكون كاذبا إذا كانت

حاله مناقضة عما يحلف عليه؛ كما في الآية الثانية: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} فإذا نظرت إلى فعله {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} فلا يُغتر بقوله.

٥- قال سبحانه: {سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

١- القرآن فيه جزء كبير في الحديث عن المنافقين وأحوالهم؛ لأن بيان سبيل المجرمين من المقاصد الشرعية، ولأجل أن يكون المؤمنون على حالة من اليقظة والتنبه لأعدائهم.

٢- طالما أن الإنسان يسير برسالة الإسلام في الأرض؛ فمما يُتقرب به إلى الله أن يعي ملابسات هذا الواقع الذي يتصل به.

٣- الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- الربط بين اليقظة والحذر وبين الإيمان.

٢- الحديث وإن خرج على صورة خبر إلا أنه يتضمن الأمر؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يكون على حال من الغفلة بحيث يُلْدَغ من جحر ثم يلدغ منه مرة أخرى.

٢- عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا). أخرجه البخاري.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ بعض الأساليب التي يفهم من خلالها أن الوجهة في هذه الغزوة إلى مكان غير المكان الذي التوجه إليه؛ وذلك حتى لا يتسرب الكلام ويصل إلى الأعداء فيفقد عنصر المفاجأة، وهذا فيه يقظة ووعي واتخاذ أسباب.

٣- عن المسور بن مخرمة ومروان في قصة الحديبية: فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي كِنَانَةَ [لقريش]: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ، فَابْعَثُوا لَهُ" فَبِعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأُشْعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. أخرجه البخاري.

تنبه النبي صلى الله عليه وسلم لخصائص الناس والاعتبارات العرفية المتعلقة بكل قبيلة؛ ثم اتخذ الأساليب التي تناسب هذه الأعراف، وهذه درجة عالية جدا في السياق الإصلاحي ينبغي أن يقتدي فيها المؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فمسايسة الناس ومداراتهم وتأليفهم هو فعل نبوي أساسي.

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت في قصة الهجرة: وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِّنْ بَنِي الدَّيْلِ، ثُمَّ مِّنْ

بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خَرِيَّتًا - الْخَرِيْتُ: الْمَاهِرُ بِالْهُدَايَةِ - قَدْ
غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ
قُرَيْشٍ، فَأَمَنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاِحِلَتَيْهِمَا، وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ
لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاِحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ، فَارْتَحَلَا، وَانْطَلَقَ
مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالِدَلِيلُ الدَّيْلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ [أَسْفَلَ مَكَّةَ]
وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ. أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ.

لفتة كبيرة وعظيمة جدا في أن اتخاذ الأسباب يصل إلى درجة
أنه في سبيل نصره الإسلام كان مجال لا يتقنه إلا مشرك
فتقتضي المصلحة الشرعية الاستعانة به، وعموم السيرة النبوية
تؤكد هذا المعنى بشكل واضح.



١٧ - باب العناية بالشباب وتقديم ذوي العلم منهم وتفعيل أدوارهم في العمل للإسلام

١ - الآيات:

١ - قال الله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}.

الشباب في مطلع العمر يمكن أن يكونوا قدوة في الدين ويكون لهم شأن في الإسلام، وقال ابن كثير رحمه الله: (فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ وَهُمْ الشَّبَابُ، وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ انْغَمَسُوا فِي دِينِ الْبَاطِلِ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا، وَأَمَّا الْمَشَايخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَعَامَّتُهُمْ بَقُوا عَلَى دِينِهِمْ وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ) فالمراحل التي يسعى فيها إلى الانتهاض بشأن الإسلام؛ يجب أن تكون مادة هذه النهضة من الشباب.

٢ - قال تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}.

إبراهيم عليه السلام كان شابا حين كان أمة وحده صامدا على الحق؛ ويجب أن يعتز الشاب بمثل هذه الآية وأن يجد فيها محفزا له على أن يقتدي بمن كانوا على هذا السن.

٣- قال تعالى: {فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ}.

قال السعدي رحمه الله: (والحكمة بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه؛ أن الشباب، أقبل للحق وأسرع له انقيادًا، بخلاف الشيوخ ممن تربى على الكفر).

وهذا يدل على أن الإصلاح الحقيقي يجب أن يكون متصلًا بالشباب فهم أسرع انقيادًا، وأكثر قوة على حمل هذا الدين.

٢- الأحاديث:

١- عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فُتَيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا). أخرجه ابن ماجه.

الصغار الذين هم على سن البلوغ كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا محلا للاهتمام منه، وكانوا معه أيضا في مقامات الجهاد مثل عمير بن أبي وقاص الذي استشهد في بدر وعمره ستة عشر عاما، فكان هناك اعتبار لهذه الفئة العمرية.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا

حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ". أخرجہ البخاري ومسلم.

لو أفنى الإنسان عمره ليكون آمنا يوم القيامة؛ فإن هذا مطلب عزيز جدا، ومن مساحات الأمان يوم القيامة: أن يكون الإنسان في ظل الله تعالى، وواحدة من الخلال التي تؤهل لذلك هي خاصة بالشباب الذين نشؤوا في عبادة الله؛ لأن شأن الشباب لما أودع فيهم من القوة والهوى؛ أن تقودهم أهواؤهم إلى غير عبادة الله، فأن يتغلب الشاب على هذا وينشأ في عبادة الله؛ فالشريعة تنتبه لهذا وتراعيه وتبرز فضلهم.

٣- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: **"أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟"** فَقَالَ الْغُلَامُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُؤْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ. أخرجہ البخاري ومسلم.

١- المدرسة النبوية كان الغلمان فيها حاضرين ولهم اعتبار، فهذا الغلام كان جالسا عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه الذي فيه شيوخ؛ والتقدير الأعظم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعط الشراب للأشياخ مباشرة وإنما استأذن الغلام أولا، وهذه النفسية التي يتربى عليها الشاب؛ تجعله يشعر بقيمته.

٢- كان الفتى نبيها فلم يقل: لا آذن، لأنها ليست لائقة لكنه قال: (لا أُؤْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا)، وهذا الرد واللباقة مثل قصة أبي بكر عندما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **"مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَّبِتَ"**

إِذْ أَمَرْتُكَ؟ فقال أبو بكر: (مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

٤- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ"**. أخرجه البخاري ومسلم. وقد كان أسامة حينها شابا دون العشرين من عمره.

١- معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بأحوال أصحابه وإمكاناتهم، وتقديمهم في المجال الذي يناسبهم.

٢- عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب، وأنهم إذا كانوا أهلا ومحلا للتصدير وأن يتولوا أمورا من نصرة الدين؛ لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم مانع في كون هذا المستحق شابا فيوليه على من هو أكبر منه وله صولة وجولة في الإسلام.

٥- عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَا تَحْتُ وَرَقَهَا"** فَوَقَعَ فِي نَفْسِي النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"هِيَ النَّخْلَةُ"** فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَقَعَ فِي نَفْسِي النَّخْلَةُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ لَوْ كُنْتُ قُلْتُهَا كَانَ

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكْ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكَرِهْتُ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ.

١ - الحديث يساق كثيرا عند التحدث عن أساليب النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية، وأن من أهم الأساليب طرح الأسئلة.

٢ - مجلس النبي صلى الله عليه وسلم متنوع الأعمار ففيه صغار وكبار وفتيان وشباب وشيوخ وهذا مهم جدا في الاستحضار عندما نتكلم عن السيرة والأحاديث النبوية.

٣ - الشباب محل العلم والاهتمام العلمي، وقد يفتح عليهم في بعض المسائل ما لا يفتح لغيرهم.

٦ - عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ شَبَابَةٌ مُتْقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا فَظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا فَسَأَلَنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ **"ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ. فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"**. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

١ - العناية بالشباب من حيث الاهتمام والاستقبال والتعليم والتقريب، والانتباه لنفسياتهم؛ لأنه لما شعر النبي صلى الله عليه وسلم بشوقهم إلى أهلهم قال لهم: **"ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ"**.

٢ - دور الشباب في التعليم، وأن على الإنسان أن يحمل روح المسؤولية بحيث يسعى لتعليم ما علم ولو كان يسيرا.

٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: **"يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"**. أخرجه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- ١- ابن عباس كان أنموذجا للعلماء الشباب، فكان حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم؛ ابن بضع عشرة سنة، والعجيب أنه نقل لنا كل هذا العلم، وكان له أكثر من موقف خاص مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بهذا السن.
- ٢- أهمية تعليم الفتیان واختصاص بعضهم بالوصايا والنصائح.
- ٣- من أهم المواد التي يجب أن توجه للفتیان؛ مادة يجتمع فيها أمران: التعريف بالله والحديث عنه، والحديث عن القلب وعلاقته بالله تعالى، وهذا الكلام الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس؛ هو مثال على قول جندب: (فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ).

٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضَمَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ". أخرجه البخاري.

- ١- الصغار كانوا محلا للعناية النبوية في التعليم والنفسيات.

٢- أهمية الدعاء لمن يحبه الإنسان، وللمتعلمين والمتربين.

٣- من أهم صفات المربي: الانتباه لمواطن التميز والفتنة عند التلميذ؛ فيوجهه ويدعو له بما يناسب ذلك.

٩- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا تُؤْفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لِيَبْلُغَنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَاتِيهِ، وَهُوَ قَائِلٌ، فَاتَّوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ الثَّرَابَ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتُ إِلَيَّ فَاتِيكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ. فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَانِي، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي. أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ.

أهم ما يحتاجه الشباب هو الاستصلاح النفسي والتزكوي الذي يجعل النفس سوية ولديها الاستعداد للصبر والتحمل والعطاء، وهذا ما أسس عليه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس؛ فأكمل هو الطريق وصبر واحتسب في سبيل العلم فكانت النتيجة أنه صار إماما من أئمة الدنيا.

١٠- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخٍ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟

فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُؤْيَتْهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مَنِّي فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَذَرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكْذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ لَا قَالَ فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فَتُحْ مَكَّةَ فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} قَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ. أخرجه البخاري.

١١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا). أخرجه البخاري.

١- أخذ عمر هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العناية بالشباب وتقديم ذوي العلم منهم.

٢- من الممكن للمربي أن يجعل الفتيان يتكلمون أو يعرضون مشروعات؛ ليبين للناس استحقاق الاهتمام بهم وأنهم أهل لذلك.

١٢- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغُلَمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُمْ ذُبْرَ الصَّلَاةِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ". أخرجه البخاري.

١- العناية بالصغار، وأول من ينبغي أن يكون محل العناية هم الأبناء.

٢- كان لسعد عناية بتعليم أبنائه كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، وهذا مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان له عناية بالغة بقضية التعليم وقال ابن مسعود: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّشَهُّدَ كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ).

٣- المشاريع الإسلامية الإصلاحية اليوم بحاجة إلى العناية بالشباب عناية بالغة شمولية كما اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بهم، ومن أولى ما ينبغي أن تكون العناية به هو تعليم الإيمان.



١٨ - باب دور المرأة في بث العلم ونصرة الإسلام، وفي عنايتها بأبواب الخيرات، ومسارعتها إلى العمل بها

١ - الآيات:

١- قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

- ١ - تأسيس دور المرأة في الدعوة والإصلاح، فالمرأة ينبغي أن تستحضر أنها وإن كانت لها حدود معينة؛ إلا أن هذا لا يحول بينها وبين أن تكون آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.
- ٢ - تأسيس للأواصر بين المؤمنين والمؤمنات وأن بعضهم أولياء بعض، ومن أهم ما يدخل في الولاء؛ المحبة والتناصر بين المؤمنين ذكورا أو إناثا، والله تعالى ينظر إلى أحوال المؤمنين ويعدهم الوعد الحسن {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}.

٢ - قال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ}.

الإسلام لم يجعل المرأة خارجة عن أن تكون محلا للشرف وقدوة يُحتذى بها، فالمؤمنون رجالا ونساء يستمدون من امرأة فرعون نموذج الثبات؛ لأنها صبرت ولم تتأثر مع كونها في بيئة فاسدة.

٢- الأحاديث:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيهَا قَوْلٌ لَهُنَّ: "مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ" فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: "وَاثْنَتَيْنِ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- بيان حضور المرأة في السيرة النبوية، وحرصها ومبادرتها إلى الأخذ بنصيب علمي وإيماني من النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- من أهم ما ينبغي أن يخاطب به المؤمنون والمؤمنات الموعظة والتذكير بالآخرة، ومن ثم الحث على العمل الصالح.

٣- فقدان الأولاد من أصعب ما يمكن أن يبتلى به الإنسان، فمما يُصبر أن هذا سبب للنجاة من النار وحجاب منها.

٢- عن عائشة رضي الله تعالى قالت: (نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءً الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ). أخرجه مسلم.

١- الرجل والمرأة كلاهما يشتركان في أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعلم والدعوة والامتثال.

٢- الحياء صفة أساسية في المرأة ولكن ينبغي ألا يكون سببا في المنع من التفقه في الدين؛ وتفقه نساء الأنصار كان صورته الأساسية سؤال النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاؤه.

٣- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثُ قُطٍّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا). أخرجه الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

١- عائشة رضي الله عنها هي حاملة لواء العلم بالنسبة للجانب النسائي، ووعت عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا حصّلتها بالتنبه واليقظة لأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وبالسؤال والاستفتاء، وهذا يستفاد منه أن من الفتيات من تكون لديها القدرة على التعلم والفهم وحفظ الدين.

٢- كانت عائشة من أبرز المكثرين من رواية الحديث، وتتلّمذ على يدها مجموعة من كبار التابعين علما ومكانة، مثل عروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر وكلاهما من محارمها وهما من الفقهاء السبعة، ومن غير محارمها كان هناك أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والأسود وعلقمة ومسروق، وكان من أشهر النماذج النسائية ممن أخذ عنها عمرة بنت عبد الرحمن التي كانت سببا في نقل كثير من علم عائشة، وأخذ عنها بعض كبار أئمة المسلمين مثل الإمام الزهري شيخ الإمام مالك.

٣- بعض من يتبنى محاربة النسوية إذا قلت له نموذج عائشة يقول أنه استثناء؛ وهذا تطرف وغلو، فعائشة رضي الله عنها

حققت درجات عليا في الفقه والعلم والحديث، وحق على الدعاة والمصلحين أن يبرزوا هذا النموذج لتقتدي به المرأة المسلمة وتحاول أن تحصل شيئا مما كانت عليه عائشة رضي الله عنها.

٤- عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: (كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ). أخرجه البخاري.

٥- عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ أَخْلَفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأَدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى). أخرجه مسلم.

١- الأساس في الجهاد هو التفريق في حكمه بين الرجال والنساء؛ ومع ذلك فإن المرأة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن غائبة عن المشاركة بما يمكنها من التمريض والخدمة وحفظ الرحال، ولم يكن هذا شيئا حصل لامرأة واحدة في مرة واحدة؛ وإنما قالت الربيع: (كُنَّا نَغْزُو) وقالت أم عطية: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ).

٢- اليوم يوجد قضايا مختلفة للأمة الإسلامية تحتاج إلى مشاركة المرأة، وهناك من يُخفف من هذه القضية ويقول أن المرأة يكفي لها أن تعرف كيف تكون ناجحة في البيت فقط؛ وهذا خاطئ فالمرأة من جملة المؤمنين والمؤمنات وعليها أن تهتم بقضايا المسلمين وأن تقدم ما يمكنها من التوعية والتربية على نصره قضايا الأمة والدعم المالي.

٦- عن عائشة رضي الله عنها في قصة الهجرة قالت: بَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا مُتَقَتِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأْذَنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنِّي قَدْ أْذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَعَمْ" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِالثَّمَنِ" قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَ الْجَهَّازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سَفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النَّطَاقِ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

١- الدور الذي قامت به أسماء فسميت به ذات النطاقين هو لدور في نصرة الإسلام قامت به بتضحية بنطاقها الذي لم تملك غيره.

٢- من يريد أن يعرف هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ لا يكفي عنده أن يعرف الأحداث العامة في السيرة، بل يجب عليه أن يسلط الضوء على البيئة الخلفية؛ فيرى أحداثًا تشارك فيها المرأة ويشارك فيها الفتیان والغلمان؛ فيزداد فهمه للسيرة النبوية.

٣- كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ألا يخرج خبر الهجرة إلى المشركين فلما قال أبو بكر: (إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ)؛ تكلم

النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أنه يمكن لنماذج نسائية أن تكون على قدر المسؤولية والفهم والحفظ والصون.

٧- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ. فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ. فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ، قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ. فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثِ ذِكْرِهِ لِلنَّاسِ. أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بغير ذلك أَمَرَهُمْ بِهَا. وَكَانَ يَقُولُ: **"تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا"** وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ. أخرجہ مسلم.

١- المشاركة من المرأة في العبادات التي فيها التعاون بين المؤمنين وسد الحاجة.

٢- ينبغي أن ينظر إلى الصدقة من عيني: العين الأولى التصديق لسد الحاجة ورحمة بالمحتاجين، والعين الثانية هي الاحتياج للتصدق للنجاة من عذاب الله تعالى، ومن استطاع أن يجمع بين الأمرين في استحضاره؛ فقد نال حظاً عظيماً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث النساء على الصدقة ويركز على جانب الاحتياج للصدقة للنجاة من عذاب الله؛ ففي الحديث: **"يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"**.

٣- (وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ): فيه سرعة الامتثال لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ

تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ، وَبِلَالٍ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ) وحالة سرعة الامتثال والاستجابة هذه هي من الحالات التي ينبغي أن تُحيا في المؤمنين ليكون الرجال والنساء على مثل هذا المعنى.

٣- خاتمة الباب:

هذه الأحاديث عن دور المرأة في نصرة الإسلام؛ مما تُقاوم به الموجات النسوية التي تجعل المرأة كائناً لا ينظر إلا بعين الحقوق فقط، ومن أسوأ ما تُبتلى به المرأة: أن تعيش دائماً وهي ترى أنها تستحق فقط وأنها لا تبذل إلا أن يُبذل لها، والتي تنظر بهذه النظرة هي أكثر من تتأثر بشبهات النسوية التي هي خطابات وهمية؛ فلا يوجد شيء يقول أن الأنثى فقط لكونها أنثى فهي تستحق كل شيء وكذلك الرجل ليس لكونه رجل فهو يستحق كل شيء؛ فهذا غير صحيح فهناك حقوق وواجبات، وأهم الواجبات التي على الإنسان رجلاً كان أو امرأة هي الواجبات المتعلقة بالعبودية لله تعالى التي يدخل فيها مسؤوليات كثيرة من نصرة الإسلام والمسلمين بما يمكن، وبهذه النظرة الواسعة تكون المرأة أعز من أن تؤسر في ذل قضية الحقوق فقط، وتعلم أن حقها يكمل بقدر امتثالها للواجبات وأدائها لها.



١٩ - باب في الثبات على الاستقامة والحذر من الانتكاس

١ - من أهم أسباب الانتكاس:

١ - عدم حضور قضية الثبات والخوف من الانتكاس:

فالمؤمن ينبغي دائما أن يشغل باله أمران: الاهتداء إلى الطريق الصحيح، وتحري الثبات على ما هُدي إليه.

٢ - اتباع المتشابه وترك المحكم:

قال الله سبحانه وتعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}.

الآية التي قبلها: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ، فالله تعالى يبين أن حتى الراسخون في العلم يهتمهم ويقلقهم شأن الثبات؛ فيدعون الله بذلك.

٣ - الإخلاق إلى الأرض واتباع الهوى:

قال سبحانه: {وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}.

الآية بعدها: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}، فالإنسان وإن حصل على مقام عال من العلم بالشرعية وكان على هداية؛ فهو غير آمن من أن يسلب نعمة الإيمان، والانتكاس ليس قراراً اختيارياً بالضرورة، فقد يكون أمراً يخلقه الله في قلب العبد نتيجة مقدمات عملها هو؛ فأحياناً يكون للإنسان إرادة عامة باهتة للثبات ولكن عمله يكذب هذه الإرادة فيبتلى بالانتكاس كما قال الله تعالى: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ}.

٣- من أهم أسباب الثبات:

١- العلم بأن الله تعالى يحب عباده الثابتين:

قال سبحانه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}.

١- الثبات هنا ليس فقط أمام طول الطريق؛ وإنما أمام الفتن الشديدة الكبيرة كفتنة الأحزاب.

٢- الثبات من أهم صور الشكر؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} فذكر الشاكرين في مقابل المنقلبين على أعقابهم.

٣- هناك اليوم حاجة إلى الحديث عن الثبات وإبراز قيمته؛ لكثرة الفتن والابتلاءات والشبهات التي لا حصر لها، هذا غير النوازع الداخلية ووساوس الشيطان التي تدفع الإنسان إلى عدم الثبات؛ فيحتاج دائماً إلى الثبات؛ لذلك يقول كل صلاة {اهْدِنَا

الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ { والهداية هنا هي الهداية المستمرة التي من لوازمها الثبات على طريق الهداية.

٢- الدعاء بالثبات:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: **"اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَغَائِ السَّفَرِ، وَكَأَبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ). أخرجه مسلم، وفسر الترمذي وغيره (الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ) بالرجوع من الإيمان أو من الطاعة إلى المعصية.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ: **"اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَلِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ"**. أخرجه مسلم.

١- بيان أهمية الثبات والخوف من الضلال؛ وقد بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي يثبتته قال تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ}**.

٢- لفّ العمامة يسمى الكَوْر، والحوْر هو إعادة نقضها بعد إحكامها، وهذا فيه تبشيع لقضية الانتكاس وأنها صورة فساد بعد صلاح ونقص بعد كمال وهذا هو حال المنتكس عن دين الله.

٣- من أسباب إجابة الدعاء: الاستحضار أثناء الدعاء، فعندما تدعو بالهداية تذكر من تلتبس عليه الطرق ثم يهدي ويجد الطريق، وعندما تدعو بالسداد تذكر عندما يرمى السهم من قوس مُتقنة من يد رامية شديدة النزع فيرمى السهم ويسير مُسدداً؛ حتى يصيب الهدف، لكن إذا كانت اليد الرامية متذبذبة والقوس ضعيفا فقد لا يصل السهم إلى الهدف وقد ينحرف يمينا وشمالا، والمطلوب من المؤمن أن يستمر إلى أن يصل إلى الهدف، كما يصل السهم المُسدّد بإتقان إلى هدفه.

٣- التعلق بالقرآن الكريم وتلاوته وتدبره؛ لتغذية القلب بالإيمان واليقين، والاستغناء عن دواعي الانتكاس:

عن النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه وذكر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال، وفيه: **"فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا"**. أخرجه مسلم.

١- **"يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا"** ينبغي أن يستصحب المسلم هذا النداء النبوي للثبات أمام الفتن التي تعترضه والتي تحيط بالمسلمين.

٢- أسباب كون سورة الكهف تعصم من فتنة الدجال:

أ- ليتذكر الإنسان في فواتح سورة الكهف عظمة الله تعالى وأن ما يأتي به الدجال من خوارق ليست بشيء { **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** }.

ب فيها ذكر لمن يمكن أن يستأنس المؤمن بخبرهم ويستمد من خلال قصتهم وثباتهم الثبات والصبر؛ فأصحاب الكهف صمدوا أمام فتنة محيطة تجعل الإنسان لا يستطيع حتى أن يوحد الله.

٤- الخوف الدائم من عدم الثبات:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ"** ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"**. أخرجه مسلم.

١- معرفة الإنسان أن قلبه ليس بيده؛ تجعله يعرف قدر نفسه وأنه يبذل الأسباب؛ لعل الله يكرمه بالثبات والاستقامة.

٣- الخوف من الله؛ هو الذي يؤزر الإنسان على العمل لعلمه أنه لا ضمان، وقال تعالى عن الصالحين: { **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** }، وقال تعالى عن الأنبياء: { **وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** } ومن أكبر الإشكالات أن يظن الإنسان أنه بكونه سلك طريق العلم والدعوة فقد أخذ ضمانا أنه لن ينتكس لكن محل الاختبار الحقيقي هو أن تحافظ على الإخلاص وابتغاء وجه الله وأن يكون العلم الذي تتعلمه دافعا للالتزام والتمسك.

٥- الشعور بحلاوة الإيمان:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

- ١- هناك طعم للإيمان وحلاوة عبر عنها الصالحون بعبارات مثل: (لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالسُّرُورِ لَجَالَدُونَا بِالسُّيُوفِ)، وقد يُظن أنها مبالغاة لكن إذا عاشها الإنسان سيقول: وهل في الدنيا شيء مثل هذا؟
- ٢- ذكر ثلاث طرق للوصول لحلاوة الإيمان، الأولى هي الأساس وهي حب الله ورسوله والثانية والثالثة من لوازمها؛ فمحبة الإنسان في الله هي فرع عن حب الله، ولن يكره أن يعود في الكفر إلا بإدراك حقيقة الإيمان وجماله وقبح الكفر ومرارته.
- ٣- محبة الله ورسوله ليست ادعاء مجردا؛ وإنما تستلزم تضحية وتقديم محاب الله على المحاب الأخرى حين يقع التضاحم والتضاد كما قال تعالى: **{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}**.



٢٠ - باب في الحث على الاعتدال في الدين والتيسير فيه، والتحذير من الغلو والتشديد على النفس أو الغير

١ - الاعتدال في الدين والتيسير فيه:

١ - المحافظة على الاستقامة والسداد:

قال سبحانه: {فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ". أخرجه البخاري.

١ - أمر الله تعالى بالاستقامة وحدّ طريقها؛ فالإنسان يستقيم على طريق الله بنور من الله تعالى.

٢ - {وَلَا تَطْغَوْا} بتجاوز الحد من جهة الإفراط، فكما نُهي الإنسان عن التقصير في الواجبات؛ فقد نُهي عن الزيادة في الحد.

٣ - "الْغَدْوَةُ": السير في أول النهار، "وَالرَّوْحَةُ": السير في آخره "الدَّلْجَةُ": السير في الليل، فهو تشبيه لحال المؤمن في عبادته بالمسافر الذي يسير هذه الأوقات؛ والمعنى: فاستثمروا في السير إلى الله أوقات النشاط واعملوا بالواجبات الأساسية ثم خذوا حظاً من مساحات الراحة التي يمكن أن تتبلغوا من خلالها، ولا تحملوا

النفس في كل أوقاتها على العمل الذي قد يؤدي لهلاكها،
فالمطلوب هو السداد والإصابة؛ وهذا لا يكون إلا بالعلم بالدين،
فإذا لم يستطع الإنسان أن يصيب السداد تماما فلا أقل من أن
يقارب الصواب، ثم من حافظ على السداد؛ فليستبشر بما رزقه
الله تعالى من التمسك بهذا الدين.

٢ - التحذير من الغلو والتشديد في الدين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: "هَاتِ الْقُطْلِي".
فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ:
"بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ". أخرجه النسائي.

وعن سعد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ
يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ". أخرجه البخاري
ومسلم، واللفظ له.

١ - سنن النسائي حري أن يهتم ويُعتنى بها خاصة لأن النسائي رحمه الله اعتنى بصحة الأحاديث فيها؛ فالأحاديث التي أخرجهها ولم يُعلِّها بشكل مباشر أو غير مباشر فالأصل فيها الصحة.

٢ - "بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ" أي: هذه الحجرات الصغيرة التي تؤدي غرض العبادة لأن القصد ليس هو ضرب الشيطان؛ وإنما القصد هو أداء هذه العبادة قالت عائشة: (إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ،

وَبَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمَى الْجِمَارَ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول أن هذا الحد المقتصد
تؤدي به هذه العبادة فلا تبالغوا، ثم يربط النبي صلى الله عليه
وسلم الغلو بالهلاك وهذا ينبه على خطورة هذا الباب.

٣- مَنْ تسبب بتحريم شيء بكونه سأل عما لا ينبغي؛ هو أعظم
المسلمين في المسلمين جرماً، وَمَنْ يأتي بما لم يحرم في
الشرعية فيحرمه؛ فهو يدخل في الحديث ولو من بعض الجهات.

٣- الأمر بالتيسير والتبشير أثناء الدعوة إلى الله:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: **"يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا"**. أخرجه البخاري
ومسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: **"يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا
وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَوَّعَا وَلَا تَخْتَلِفَا"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- من مقاصد الدين العظيمة: التبشير وتحبيب الناس في الدين،
والعمل الذي يؤدي إلى التنفير هو من أعظم ما حرّمته الشريعة.

٢- قد يكون الإنسان منفراً باختياره لأشياء من الدين ليس هذا
مقامها ولا مقتضى الفقه فيها، كما فعل معاذ نفسه حيث صلى
العشاء فقرأ بالبقرة فانصرف رجل من الصلاة فقبل عنه منافق
فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله فعتب النبي صلى الله
عليه وسلم على معاذ عتبا شديداً وقال له: **"يَا مُعَاذُ، أَفَتَأْنُ أَنْتَ"**.

٣- من العناوين الإصلاحية الكبرى: التطاوع الذي يشمل حالة من التنازل وعدم الإصرار على سبب الخلاف، وعدم الاختلاف في الناحية العملية المترتبة على الاختلاف في الرأي.

٢- أنواع الغلو المنهى عنه:

١- الغلو في الأشخاص:

قال الله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}.

١- أهل الكتاب يغلون في الأشخاص، ويغلون بامتناع المتدينين منهم عن الزواج {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ}.

٢- الناس عادةً يغلون في الصالحين الذين يعتقدون أنهم وسيلة إلى الله تعالى، وأكثر من يمكن أن يُعتقد فيه ذلك من حيث التصور العقلي هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد هذه الأمة وأقربها إلى الله، ولكن حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو في شخصه؛ فقال: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ".

٢- الغلو في الحكم على الناس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا". أخرجه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اْعْدِلْ، فَقَالَ: "وَيْلَكَ وَمَنْ
يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اْعْدِلْ قَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ اْعْدِلُ" فَقَالَ عُمَرُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: "دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا
يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ
الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ
الرَّمِيَّةِ". أخرجه البخاري ومسلم.

١ - مهم لمن يريد أن يفقه محكمات الشريعة أن ينظر في الباب
وما يضاده، فباب الأخوة في الدين لا يكون فيه فقط النصوص
التي تحتّ على الأخوة والمحبة؛ وإنما أيضا النصوص التي فيها
التشديد الكبير وإطلاق وصف الكفر على من خالف فيه المخالفة
الكبيرة، وهذا يدل على مركزية هذا الباب وخطورته.

٢ - الحديث الثاني متواتر، وصَحَّ من عشرة أوجه، وهو من
دلائل النبوة أخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بخروج
الخوارج؛ بل وصفهم بأوصاف تفصيلية التمسها علي رضي الله
عنه في بعض المقتولين لما انتهى من قتاله مع الخوارج؛ فوجد
صفتهم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال علي: (إِذَا
حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فَوَاللَّهِ لَأَنْ أُخَرَّ
مِنَ السَّمَاءِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ)، والعجيب أن عليا
رضي الله عنه الذي روى حديث الخوارج؛ لم يرو في صفين
شيئا مع كون قتاله في صفين أكثر التباسا وأشدّ من قتاله مع
الخوارج؛ وهذا يدل على أمانة الصحابة رضي الله عنهم.

٣- أسباب ضلال الخوارج:

أ- تجاوز الحد في تقييم النفس والآخرين؛ فيظنون أنفسهم أصحاب الحق المطلق، ولا يستطيعون إِبصار حسنات الغير إذا لم يوافقهم في الجزئية التي يؤمنون بها.

ب- الجرأة والقفز على الحدود الدينية المحكمة من عصمة دم المسلم وما يتعلق بالأخوة بين المؤمنين، والجرأة على التكفير.

ج- الجهل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الأخذ بها.

د- عدم النظر الشمولي للفقہ في الدين.

٤- السلامة من اتباع طريق الخوارج تكون بالجمع بين أمرين:

١- أن يعرف الإنسان قدر نفسه وقدر من هو أعلم منه.

٢- أن يحفظ المحكمات ولا يتجراً على الأمور المشددة في الدين.

٥- من المفارقات العجيبة التي تدل على اعتدال أهل العلم: أنهم لم يكفروا الخوارج مع كل ما ورد فيهم من الوعيد الشديد؛ فما بالكم بأناس لم يرد فيهم تشديد مثل هذا ولكنهم أخطئوا في مسائل، ثم يأتي من يكفرهم، فهذه مفارقة مهم أن تلاحظ.

٧- من أهم أسباب العصمة من الضلال والغلو في الدين: حُسن الأخذ للقرآن، فالخوارج يقرؤون القرآن كثيراً لكنهم لا يحققون المطلوب منه، قال ابن تيمية رحمه الله: (وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ فَهْمُ مَعَانِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةً حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ).

٣- الغلو في التشديد على الآخرين في العبادة وفي الدين:

عن الأزرق بن قيس قال: (كُنَّا بِالْأَهْوَازِ نُقَاتِلُ الْحُرُورِيَّةَ، فَبَيْنَا أَنَا عَلَى جُرْفِ نَهْرٍ، إِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، وَإِذَا لَجَأُ دَابَّتِهِ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تُتَارِعُهُ، وَجَعَلَ يَتَّبِعُهَا، قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الشَّيْخُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ، وَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّ غَزَوَاتٍ، أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَثَمَانِي، وَشَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ، وَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَاهَا تَرْجِعُ إِلَيَّ مَأْلَفَهَا فَيَشُقُّ عَلَيَّ). أخرجه البخاري.

١- أبو برزة لم يذكر حديثاً مباشراً في المسألة؛ بل ذكر أنه رأى أن من التيسير الذي فهمه من الهدى الشمولي للنبي صلى الله عليه وسلم ما يصدق على حالة منازعة الدابة، وهذا هو الفرق الحقيقي بين الفقيه في الدين وبين الخالي عن الفقه.

٢- عقل أصحاب الغلو في الدين لا يمكن أن يدخل فيه موازنة المصلحة على المفسدة؛ فهو لا يرى إلا صورة واحدة فقط إما هذا وإما ذاك، وبالتالي هم لم يستطيعوا التفكير أن أبا برزة إذا فقد الدابة سيواجه مشقة كبيرة في رجوعه من المكان.

٣- بعض الذين أخذوا بالغلو في الدين اليوم يثيرون نزاعات ويسألون الناس عن موقفهم من علماء معينين ويؤدي هذا الكلام إلى جدل وخصومات؛ فهؤلاء لا يستطيعون أن يستوعبوا مصلحة الأمة الإسلامية ولا النظر إلى القضايا بشمولية؛ فلا يرون إلا أنهم على حق وأن من خالفهم على باطل.

٤- الغلو بمجاوزة الحد في العبادة: وله بابان:

١- الغلو بمنع النفس عن كثير مما أحله الله بنية العبادة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ
أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَآيْنَ نَحْنُ مِنَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟!
قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ
الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا
وَكَذًا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ،
وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ
مِنِّي". أخرجه البخاري ومسلم.

١- من لم يتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم أو من زاد
عليها ف كلاهما راغب عنها؛ فالأول تفريط والآخر إفراط.

٢- من أعظم الأسباب الموجبة لرضوان الله تعالى: موافقة هدي
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لا يكون إلا بالعلم، فمن أشرف
أبواب العلم: العلم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- الغلو في الإفراط من العبادة لدرجة تؤدي إلى الفتور:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ،
فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَنْ هَذِهِ؟"
قُلْتُ: فَلَانَةٌ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: "مَهْ، عَلَيْكُمْ

مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا". أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمَّا أُرْسِلَ إِلَيَّ فَأَتِيْتُهُ، فَقَالَ لِي: **"أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ"** فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: **"فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ"** قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: **"فَإِنَّ لِرَوْحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"** قَالَ: **"فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ"** قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: **"كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا"** قَالَ: **"وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ"** قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: **"فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ"** قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: **"فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِ"** قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: **"فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ لِرَوْحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"** قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشَدَّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ"** قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَبُرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له.

١ - المشكلة الأساسية التعبدية في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم كانت في التخوف من الزيادة في التعبد، وهذا يبين عجب
الأثر والمعنى الإيماني الكبير الذي كان يتلقاه الصحابة من النبي

صلى الله عليه وسلم بحيث صارت الحالة الأساسية هي الإقبال، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج أن يضع الحدود حتى لا يتجاوز أحد الحدّ وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: **"رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَدِنَ لَهُ لَأَخْتَصَيْنَا"**.

٢- **"فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا"**: الاستمرار في العمل هو المطلوب، فأن يكون عند العبد عمل ثابت وحد أدنى يحافظ عليه ولا ينقص عنه مهما اختلفت الظروف والمشاكل؛ فهذه مركزية في فقه العبادة في الإسلام والذي يفقهها ويوفقه الله للمحافظة عليها فقد أخذ بأمر وثيق في الدين.

٣- من ربانية هذا الدين أنه يضبط النفوس بحيث تُقاد وتُهدب بما لا جور فيه، فإن من المحاذير الأساسية في قضية المجاوزة في العبادة هو محذور الانقطاع، والإنسان ينقطع لأحد معنيين: إما لضعف في إيمانه وإما لتجاوزه الحد.

٤- عبد الله بن عمرو لأنه كان شاباً وعنده طاقة؛ كان لديه رغبة في الزيادة في العبادة، ولا شك أن حال شباب اليوم مختلف؛ لكن إذا اعتنى الدعاة والمصلحون بالعلوم التزكوية المرتبطة بالكتاب والسنة، وبالعاية بالإحياء الإيماني وإحياء الهمم والعزائم؛ فسينعكس هذا على الشباب بزيادة المستوى الإيماني وبالتالي نحتاج في ذلك الوقت إلى الضوابط التي تنبّه من الغلو.

٥- الحديث الثاني يدخل تحت عنوان **{وَيَزَكِّيهِمْ}** فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يربي أصحابه، وإذا لاحظ مشكلة عند أحدهم؛ ذهب إليه حتى يكلمه وينصحه، وإذا أردنا صلاحاً حقيقياً فلا بد

أن يضيف أهل العلم إلى مكون التعليم مكون التربية، وإلا سيظل الأمر فيه نقص شديد.

٦- **الفقيه هو الذي يقدر الحالات فيختار من الحق ما يكون هداية للحال التي ينتزل عليها هذا الحق، فإذا كان الحال حال تفريط وإهمال؛ يوجه الخطاب إلى الحثّ على التمسك، وحين تكون الحالة فيها زيادة؛ يكون الحث على الاعتدال وعدم المبالغة** والذي ليس بفقيه هو الذي يتعامل مع النص مجردا عن الواقع، **وليس كل الحق ينزل في كل وقت؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يترك أمورا فاضلة إلى أمور مفضولة بسبب الحال، مثل قصة تركه لهدم الكعبة وبنيانها على قواعد إبراهيم.**



٢١ - باب في مركزية حسن الخلق والبر والإحسان في حياة المسلم

بيان مركزية وقيمة حُسن الخلق:

١ - الأمر به بصيغة غير متكررة كثيرا في القرآن مُشعرة أن ما
بعدها معظم:

قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي
الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ}.

هذه الآية يعتني بها المسلمون كثيرا خاصة في مقامات خطب
الجمعة؛ لأنها آية جامعة لأهم الخصال التي يُؤمر بها ولأهم
الأفعال التي يُنهى عنها.

٢ - تعريف البرّ به:

قال سبحانه: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.

وعن النّوأس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ
الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ".
أُخْرِجَهُ مُسْلِمٌ.

٣- أنه خير ما أُعطي العبد، وأثقل شيء في ميزانه:

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال قالوا ما خير ما أُعطي
النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "خُلُقٌ حَسَنٌ". أخرجَه ابن ماجه وأحمد.
عن أبي الدرداء رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
"مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ،
وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ". أخرجَه أبو داود والترمذي
وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٤- ربط اسم الإسلام وتعريف المسلم به:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، قَالَ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ،
وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ". أخرجَه البخاري ومسلم.

٥- أنه من أهم مُعرفات الرسالة النبوية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي

عَلِمَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ،
وَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْتَبِهْ، فَاَنْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ
قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ،
وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ). أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في قصة هرقل أنه
قال لأبي سفيان يسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم: (مَاذَا
يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،
وَاتْرِكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ
وَالصَّلَةِ). أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وعن عمرو بن عبسة السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ وَأَنَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ. فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى
رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا
جُرْعَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ. فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا
أَنْتَ؟ قَالَ: "أَنَا نَبِيٌّ" فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: "أَرْسَلَنِي اللَّهُ" فَقُلْتُ:
وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: "أَرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ،
وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ" قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟
قَالَ: "حُرٌّ وَعَبْدٌ". أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

١- من أهم مؤشرات نجاح الداعي: أن تكون مضامين دعوته قد
وصلت إلى الآخرين بغض النظر عن إجاباتهم.

٢- أدرك العلماء قيمة باب الأخلاق واعتنوا به؛ فمنهم من:

أ- أفردته بالتأليف، وهذا كثير.

ب- جعله ضمن أبواب الدين كالبخاري ومسلم في صحيحيهما.

ج- ألف كتابا مفردا في الأدب للطلبة المهتمين بعلم معين؛ مثل (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) للخطيب البغدادي.

د- كتب كتباً في علوم شرعية متخصصة ثم وضع فيها باباً للأدب مثل ابن الصلاح رحمه الله في كتابه (علوم الحديث).

٣- أولى الناس بأن يتخلق بالأخلاق؛ هم المشتغلون بالعلم الشرعي، وللأسف بعض الناس يظن أن العلوم العقلية هي الأفق الأعلى ويزهد في أبواب السلوك، وأحياناً يخوض في تخصص شرعي دقيق ويرى أن هذا هو المقام الشريف ولو كان عنده سوء خلق، والفصل بين العلم الشرعي والأخلاق مناقض للفقه في الدين، ونحن اليوم بحاجة إلى التأكيد على أهمية حسن الخلق.

٤- النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله فيقول: "اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ"، وإنه من الصعب على الإنسان أن يمتثل مكارم الأخلاق في مختلف الأبواب ويكون على الذروة فيها؛ ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان كامل الأخلاق وفي الذروة من الامتثال والتطبيق للأخلاق الحسنة؛ فهذا من دواعي محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه.



٢٢ - باب فى مفاتيح الهداية والبصيرة ودوام احتياج المسلم إلى الهداية الربانية

١ - عنوان الباب:

- ١ - من أعظم الأمور الفارقة بين ذوي الدرجات العليا ومن دونهم: إدراكهم لمركزية باب الهداية فى الإسلام.
- ٢ - المفتاح الأعظم الذى ينبه إلى عظمة هذا الباب ومركزيته: أنه واجب على المسلم الدعاء بالهداية كل يوم بضع عشرة مرة، فيقول: { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** } فالمطلوب الأعظم من المسلم يومياً: أن يوافق الطريق الحق وأن يكون عليه عملياً.
- ٣ - المطلوب فى باب الهداية أمران: إدراك خطورتها وقيمتها، والبحث عن المفاتيح التى توصل إلى الهداية؛ والباب يبين ذلك.
- ٤ - المسلم يبذل أسباب الهداية من جهة تطلب الأثر الذى يأتي من الله تعالى، فالله هو الهادي وهو الذى يكتب الإيمان فى القلوب { **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** }.

٢ - أسباب الهداية:

١ - الاعتصام:

قال الله سبحانه وتعالى: { **وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }.

الاعتصام: الاحتماء بالله والالتجاء إليه، ويكون حين يتم التوحيد في قلب الإنسان فيعظم الله حق التعظيم فيحتمي به ويستعين به تعالى، وهو من أعظم ما يجعل الله به الهداية كما في هذه الآية، وكما في آية: **{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا }**.

٢ - الإنابة:

قال سبحانه: **{ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ }** وقال تعالى: **{ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ }**.

الإنابة: دوام الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه، وهي صفة قلبية قال تعالى: **{ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ }** وهي من أعظم المحركات إلى الخير؛ فلا تقتصر على العودة وقت الذنب؛ وإنما كلما قصر الإنسان في العبودية عاد إلى الله.

٣ - المجاهدة في طاعة الله:

قال جل شأنه: **{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }**.

١ - **المجاهدة** تشمل: مجاهدة النفس، والعوائق المحيطة بالإنسان التي تقطع الطريق عليه كشياطين الإنس والجن والفتن والأهواء.

٢ - **من المهم أن يستحضر الإنسان أنه في مجاهدة؛** فيعيش في حال من المغالبة والمدافعة ولا يستسلم، ومن كان كذلك

فليستبشر بأمرين: بأنه قد اتخذ جنة ووقاية مما يجاهد، وأنه قد أخذ منحة إلهية وهي الهداية.

٣- المجاهدة للنفس وللشيطان في البداية صعبة شديدة، فإذا نزلت الهداية على القلب؛ تسهل هذه المجاهدة على الإنسان.

٤- اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

قال سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}.

١- اتباع النبي صلى الله عليه وسلم عصمة وسبب من أسباب الهداية والبصيرة قال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}.

٢- البصيرة: نور يقذفه الله في القلب، وهذا النور يكون بأسباب عملها العبد ومن أهمها: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- الدعاء بالهداية:

١- عن علي رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَلِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ". أخرجه مسلم.

١- أهمية مطلب الهداية؛ فالحديث قيل لمن له شأن ومكانة في الدين وفي نصرته.

٢- أهمية الاستحضار أثناء الدعاء، والتذكر، وحضور القلب.

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ "كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى". أخرجه مسلم.

٣- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِدْنِكَ إِنَّكَ أَنْتَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". أخرجه مسلم وأبو داود واللفظ له.

٤- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ. تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي" وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ" وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ

أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ،
تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ
وَالتَّسْلِيمِ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا
أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ
الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ". أخرجہ مسلم.

۵- عن عثمان بن أبي العاص وامرأة من بني قيس رضي الله
عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ أَحَدُهُمَا سَمِعْتُهُ
يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي" وَقَالَ الْآخَرُ:
سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اسْتَهْدِكْ لِرُشْدِ أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ
نَفْسِي". أخرجہ أحمد.

۱- أدعية الأنبياء هي باب عظيم من أبواب العلم بالله تعالى،
وباب عظيم من أبواب الهداية، ومع كون النبي صلى الله عليه
وسلم يُوحى إليه وهو الهادي هداية الدلالة والإرشاد؛ فمع ذلك
هو عبد لله تعالى يستحضر احتياجه إلى الهداية الإلهية فيكرر
الدعاء بها.

۲- متعلقات الهداية:

- ۱- الهداية من الكفر إلى الإيمان.
- ۲- الهداية من الذنوب والمعاصي إلى الاستقامة على أمر الله.
- ۳- الثبات على الإيمان وعلى الطاعة وعلى الخير.
- ۴- الهداية في أمر الملتبسات وفي المسائل الخلافية.
- ۵- الإرشاد في أمور العلم. ۶- التوفيق لأفضل طرق العبادة.

٧- الهداية إلى أحسن الأخلاق والسلوكيات.

٨- الهداية إلى أفضل الدرجات وأفضل المراتب وأفضل الخير.

٩- الهداية إلى طرق ووسائل الإصلاح ونفع المسلمين.

فالهداية ليست أمراً محدوداً صغيراً؛ بل هي كل الخير، وعندما يدرك الإنسان متعلقات الهداية الواسعة وأن الثمرة المرجوة من قراءة القرآن وطلب العلم هو الاهتداء به؛ تزداد قيمة الهداية لديه.

٦- عن أبي ذر رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **"يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ"**. أخرجه مسلم.

بيان مقدار افتقار الإنسان وحاجته إلى الهداية؛ فكلنا ضال إلا من هداه الله تعالى.



٢٣ - باب فى أهمية الصحبة الصالحة وفضل الحب فى الله وخطورة التفرق والتنازع واختلاف الكلمة

١ - من أهم ثمرات الباب:

الدعوة إلى تأسيس الأخوة الإيمانية، والتحذير من خطورة الفرقة بين المؤمنين، فإن من الصعب أن يكون هناك صلاح لأحوال المسلمين؛ دون أن يتم ترسيخ هذه المبادئ وتفعيلها.

٢ - قيمة هذا الباب ومركزيته وأهميته:

١ - تكرار ذكر المحبة والتناصر بين المؤمنين فى القرآن:

قال الله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} وقال سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} وقال جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ} وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}.

٢- ربط اسم الإسلام والإيمان به وكونه من أهم مقتضياتهما:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"** وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"**. أخرجه مسلم.

تزداد أهمية التعاون بين المؤمنين: إذا وجد جزء من البناء على وشك السقوط، فينبغي لمن قام على هذا البنيان أن يقرب بين لبناته بحيث يشد البنيان بعضه بعضا.

٣- أنه بقدر الإحسان إلى الإخوان؛ يأتي الإحسان من الرحمن حتى في نوع الإحسان:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- كلما تضافرت المؤكدات على تثبيت الباب فهو من مركزيات الشريعة، وله علاقة بالفقه في الدين والموازنات بين المصالح والمفاسد، وابن تيمية رحمه الله أكثر من ذكر هذه المسائل.

٣- يجب ألا تُذكر المسائل التي تفرق بين المؤمنين مثل القضايا المتعلقة بالأعيان فهي لا يتوقف عليها صحة الإسلام والفرائض.

٤- "لَا يُسَلِّمُهُ": لا يسلمه إلى عدوه وأيضاً يدافع ويحامي عنه.

٥- مع أن باب الأخوة باب عظيم في الدين تكرر التأكيد عليه؛ لكن عندما ترى واقعنا تجد التفرق والنزاعات وتضييق الأخوة على أناس معينين؛ والأصل هو الأخوة العامة بين المؤمنين.

٤- النهي عما يناقض الباب:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: "يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا وَبَشِّرًا وَلَا تُنْفِرًا وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلِفَا". أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ". أخرجه البخاري، ومسلم واللفظ له.

١- "**بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**": فهذه
الصلة من الشر إذا وجدت في شخص؛ فإن هذا يكفيه من الشر
ولا يحتاج أن يكون معه شر آخر ليكون صاحب شر كبير، ومن
هنا يُعلم مقدار الشر الكبير في بعض الاتجاهات التي مشروعها
الأساسي الطعن في المسلمين ولا عذر لمن سلك طريقهم؛ لأن
أمامه الأحاديث الصحيحة التي تؤكد محكمات الدين.

٢- من كان عنده محبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ينبغي
أن يكون صادقاً في محاولة تصحيحه للإشكال داخل نفسه تجاه
أخوانه المسلمين.

٥- الفضل الكبير للمحبة في الله:

عن أبي إدريس الخولاني أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى
شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا
إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَمَّا
كَانَ الْغَدُ هَجَرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي،
قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ لِلَّهِ فَقَالَ: اللَّهُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ فَقَالَ: اللَّهُ؟
فَقُلْتُ: اللَّهُ، فَقَالَ: اللَّهُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبُوبَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي
إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبَشِّرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ: "**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ
وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**". أخرجهُ مالك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بَجَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي". أخرجه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَذْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ". أخرجه مسلم.

عن أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ". أخرجه البخاري ومسلم.

فضل المحبة في الله:

- ١- سبب لأن يظل الله العبد في ظله يوم لا ظل إلا ظله.
- ٢- من أسباب محبة الله للعبد. ٣- من أسباب حلاوة الإيمان.

٧- إطلاق وصف الكفر على المخالفة في باب الأخوة الإيمانية:

١١- عن جرير رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: "اسْتَنْصِتِ النَّاسَ" فَقَالَ: "لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ". أخرجه البخاري ومسلم.

باب الأخوة محكم في الشريعة والمخالفة فيه خطيرة، وإذا كان الحال مثل زماننا الذي فيه استضعاف للأمة ثم يُستهتر بهذا الباب؛ فهذا الذنب والإشكال مضاعف.

٨- مؤكّدات أخرى للباب:

١- أن هناك أحاديث خاصة بشرائح من الناس يمكن أن تقوم بينهم علاقة الأخوة مثل حديث: **"وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللّٰهُ لَا يُؤْمِنُ" قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" وحديث: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ".**

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة.



٢٤ - باب في الحذر من الفتن، وما يُخشى على الصالحين من فتنة الدنيا والتنافس فيها

١ - الآيات:

١ - قال الله سبحانه وتعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}.

لفظ الآية يدل على أنه سنة إلهية، فإذا وصل المؤمنون إلى أن الله يريد بهم الخير ونصرة الإسلام؛ فليتهيئوا للفتن التي تنخل الحالة الإيمانية بالابتلاءات فيسقط خلالها أهل الخبث والنفاق، وتلك الفتن تكون خيرا لأن الحكمة منها تمييز الخبيث من الطيب.

٢ - قال سبحانه: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}.

إذا عم الظلم ولم يُنكر ولم يغير؛ فليحذر المؤمنون من نزول فتنة عامة، فتكون عقابا للظالم ولمن سكت ولم يُنكر المنكر.

٣ - قال سبحانه: {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}.

١ - الآية تشمل نزول فتن عامة، وفتن تكون خاصة بكل مؤمن.

٢- قد يظن البعض أنه إذا تاب واستقام ستصير حياته سهلة بدون مشاكل؛ فتأتي الآية وتبدد هذا الوهم، فسيكون هناك عقبات وفتن تُسقط غير الصادقين، أما الصادق فإن الله يعطيه من القوة والصبر والعزيمة ما يستطيع أن يتجاوز به العقبات.

٢- أمور متعلقة بالفتن:

١- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن:

عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُّ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقَّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرْحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِغْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ". رواه مسلم.

وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن قدم أبو عبيدة بمال من البحرين: **"فَأَبْشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"**. رواه البخاري ومسلم.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: **"إِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"** قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبَرِ. رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **"إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيْ قَوْمِ أَنْتُمْ؟"** قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ"**. رواه مسلم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: **"إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ"** قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ؟ قَالَ: **"زَهْرَةُ الدُّنْيَا"**. رواه البخاري ومسلم.

١- الجامع المشترك بين هذه الأحاديث:

أ- التنبيه على أن موضوع الفتن خطير.

ب- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم لشأن أمته.

ج- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعي جيدا أنه لا يكفي أن تبدأ طريق الاستقامة؛ وإنما ينبغي أن تتنبه للعوائق التي يمكن أن تعترض ذلك الطريق ومنها عوائق الفتن، وهذه مهم في الثبات على الطريق الذي لا يكون إلا بإدراك أن الفتن ستقع، والاستعداد لها، والخوف والمحاذرة.

٢- (فَمِمَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ): يصلح الخيمة، (وَمِمَّا مَنْ يَنْتَضِلْ): يضبط الأسهم والقوس، (وَمِمَّا مَنْ هُوَ فِي جَشْرِهِ): يعطي الطعام للخيول والدواب ويصلحهم، (الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ): نداء استثنائي غير معتاد يعطي تنبيها ويحشد الصحابة؛ فالصلاة هي محل جمع المؤمنين، "فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا": من شدة الفتن وكثرتها؛ يشعر المؤمن أن أول فتنة هي الكبيرة المهلكة ثم تأتي التي بعدها فيشعر أن ما قبلها لم يكن شيئا، "فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ" سابقكم، فيقول لهم: اثبتوا واصبروا حتى نلتقي عند الحوض.

٣- المراحل الأولى من عمر الأمة فيها خيرية وكلما تأخر الزمن زادت الفتن كما في حديث: "لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ" فمن تمام رحمة الله بالمؤمنين أن يدرك المؤمن أنه حين يسير في طريق الله تعالى؛ فإنه قد سلك طريقا عظيما، وبقدر عظم الطريق؛ لا بد أن يظهر الصادق في دعواه من الكاذب وذلك بالابتلاءات والفتن المتنوعة.

٤- من أشد ما خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وأمته: فتنة الدنيا، وذلك بسبب:

أ- أن الصالحين قد يصبرون على الشدائد ثم لا يصبرون على النعم والرخاء؛ لأن الشدائد تكون سببا في اكتساب أعلى درجات الإيمان من التمسك بالدين والثبات عليه والافتقار إلى الله تعالى، أما الرخاء فيجعل الإنسان يفلت الزمام قليلا.

ب- أنه كلما قلّت المكتسبات الدنيوية قلّت فرص التفرق بسبب الحسد والتنافس، وكلما كثرت أموال الإنسان ازداد حرصا على المال وجشعا إلا من ينفعه الله بإيمانه فينفق ماله في وجوه الخير.

٥- أهمية أن ينبّه المصلحون والدعاة الشباب المستقيم إلى التحديات والمخاطر التي يمكن أن تعترضهم، وفي نفس الوقت يبشرونهم بفضل الله تعالى ورحمته.

٢- تجاوز الفتن وعدم الوقوع فيها؛ من أعظم أسباب نور القلب:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ قَالَ: تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتْنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَاسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ؟ لِلَّهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ

سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ". رواه مسلم.

١- الصالحون وإن كانوا في منزلة عمر إلا أنهم يخافون الفتن ويقلقهم الموضوع ويهمهم ويؤرقهم.

٢- أنواع الفتن التي تحدث عنها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة، منها: الفتن التي تعترض الإنسان في حياته اليومية مثل المشكلات العائلية.

٣- الفتن تحصل في القلوب بشكل متراكم، فيبدأ الإنسان يتهاون في بعض الفتن ويظن أنه يملك أمره؛ فيتشرب فتنة على إثر فتنة وشيئا فشيئا لا يملك بعد ذلك قلبه ولا قراره.

٣- العبادة وخاصة قيام الليل؛ من أهم أسباب الوقاية من الفتن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". رواه مسلم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةُ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحَجَرِ، قُرْبَ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ". رواه البخاري.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ"**. رواه مسلم.

١- الذي لا يكون له رصيد من الاستقامة والعمل؛ قد تأتي عليه لحظات فتن يتقلب فيها تقلبا سريعا لدرجة أن دينه الذي هو أثنى ما يملكه؛ يبيعه بعرض من الدنيا.

٢- يجب ألا يغيب عن الذهن أن الفتن التي تحدث هي من أقدار الله تعالى.

٣- يجب أن يحرص المصلح على أهله؛ اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان حريصا على أهله.

٤- **"الْهَرَج"** الاختلاط والفتن والقتل، فتلك الأوقات ليست أوقات عبادة، فالذي يستطيع أن يواظب على العبادة فيها؛ يكون أجره عند الله عظيما.

٤- الاستعاذة هي من وسائل اتقاء الفتن:

١٠- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُثْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةَ أَوْ خَمْسَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ. قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجَرِيرِيُّ. فَقَالَ: **"مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟"** فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا قَالَ: **"فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟"** قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ فَقَالَ: **"إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ"** ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: **"تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ"** قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ

النَّارِ، فَقَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"
قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ
مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ. رواه مسلم.



٢٥ - باب فى فهم أسباب ضعف المسلمين واختلال أحوالهم وإخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك

١ - عنوان الباب:

- ١ - من المهم لمن يريد أن يكون مصلحا أن يعرف شيئا من أسباب ضعف المسلمين؛ لأن المصلح يتعامل مع مشكلاتهم.
- ٢ - من تمام بيان النبى صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته؛ أنه بيّن لهم خير ما يعلمه لهم، وحذرهم شر ما يعلمه لهم.

٢ - الآيات:

قال الله سبحانه وتعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}.

لفت النظر إلى الأسباب الداخلية للمصيبة؛ وفي واقعنا هناك تحديات كثيرة آتية من الخارج، ولكن لا ينبغي أن نضع الإشكالية كلها على هؤلاء؛ وإنما من المهم أن نفتش في النقص الذي فينا، وهل قمنا بمسؤولية الإصلاح وإنكار المنكر والسعي لاجتماع الكلمة، فلفهم أسباب ضعف المسلمين نحتاج أن ننظر إلى أنفسنا.

٣- الأحاديث:

١- عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يوشكُ الأممُ أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها"** فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: **"بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن"** فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **"حبُّ الدنيا وكرهية الموت"**. أخرجه أبو داود وأحمد. وهذا الحديث من أعجب الأحاديث وأدقها في وصف مشكلة الأمة الإسلامية اليوم.

١- الجمع بين المشكلة الخارجية وبين السبب الداخلي الذي لأجله ترسخت تلك المشكلة الخارجية.

٢- كما يتداعى الناس إلى قصعة يأكلون الخيرات الموجودة فيها؛ فكذاك ستتداعى علينا الأمم وتنهب خيراتها وتتسلط علينا بدرجة فيها من الاستهانة، والعجيب تعبير النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ **"الأمم"** فمشكلتنا ليست من أمة واحدة وإنما من أمم، فنحن أولى من يدخل في هذا الحديث.

٣- من جملة النصر: أن يُنصر المسلمون بأن يهابهم أعداؤهم، فإذا نزعَت الهيبة من صدور أعداء المسلمين؛ فإنهم يسارعون إلى الأذى والتسلط والاحتلال المباشر لبلاد المسلمين.

٤- **"كغثاء السيل"**: ما يحمله السيل فوقه من الأغصان والأشياء المتفرقة التي لا قيمة لها، فالإشكال أن الأمة ستكون فاقدة للمعنى وللهوية التي تشكل قوام الإنسان ويصير بفقدائها غثاء لا قيمة له،

ولذلك نحن اليوم في أمس الحاجة لإعادة المعنى والقيمة وبناء الشخصية المسلمة بتثبيت مرجعية الوحي والإيمان في النفوس؛ وهذا من أهم الأسباب الذي بإذنه سبحانه يكون سببا في إعادة بناء قوام الأمة الإسلامية بعد ذلك.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطَقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ"** قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: **"الرَّجُلُ التَّافَهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ"**. أخرجه ابن ماجه وأحمد، وأخرجه أحمد كذلك من طريق أنس بن مالك، وفيه: **"إِنَّ أَمَامَ الدَّجَالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ"** وأخرجه البزار من حديث عوف بن مالك، وفيه: **"إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ"**. وهذا الحديث مروي من وجوه متعددة لعله يقوى بها ويرقى للقبول إن شاء الله، وهو كذلك من الأحاديث العجيبة في وصف شيء من مشكلة الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم.

١- المتأمل البصير يرى مقدار مطابق بين هذا الحديث وبين زماننا الحالي؛ من تبدل المعاني، وتصدر التافهين الذين يرسمون للناس معايير في غاية التفاهة والانحطاط.

٢- من أهم ما يدخل في الاستفادة من ميراث النبوة: الاستفادة فيما يتعلق بالتنبه للمستقبل؛ لأخذ الحيلة والحذر وعدم الاغترار بانتشار بعض المفاهيم وتكالب كثير من الناس عليها.

٣- أهمية ضبط المعايير على معيار الوحي فإذا فقد الإنسان هذه المرجعية فإنه يكون عرضة لاختلال المعايير وللتأثر.

٣- عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"**. أخرجه أبو داود.

١- **"بِالْعَيْنَةِ"**: من صور الربا وهي: أن يبيع الإنسان لرجل سلعة بثمن مؤجل ثم يشتريها منه معجلة بثمن أقل، فالسلعة هنا وسيط، وهذا يظهر مقدار حرص على المال والجشع في تحصيله.

٢- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من حالة الركون إلى الدنيا والتعلق القلبي بها مع ترك التضحية والبذل في سبيل الله.

٣- مهما كان هناك من إشكال خارجي؛ فإن كثيرا من الأسباب تعود إلى أنفسنا وتعلقنا بالدنيا كما قال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ"**، والحياة المعاصرة تصنع حالة من الهلع المتعلق بالدنيا التي أحيانا تجعل الإنسان يتخلى عن كثير من الثوابت في سبيل تحقيق منفعة دنيوية معينة، والفكرة أن الإنسان لا يجعل الدنيا هي الإطار الأساسي الذي يعيشه حالة من الاستغراق الدائم؛ وإنما ينظر إلى ما هو أعلى من ذلك وهو رضا الله تعالى الذي يكون بطاعته والعمل لدينه.



٢٦ - باب في السنن الإلهية وأهمية موافقتها في الإصلاح وإقامة الدين وسياسة الناس ودعوتهم

١ - أهمية الباب لمصلحي زماننا:

١ - إقامة الدين والنهضة به لا يمكن أن يكون على غير قانون السنن الإلهية.

٢ - هو باب من أبواب الفقه في الدين.

٢ - سنة الله في إهلاك المكذبين الظالمين:

قال الله تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} وقال سبحانه: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} وقال سبحانه: {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سُنَّتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} وقال سبحانه: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}

١ - هذه السنة الإلهية فيها جرعات كبيرة من الأمل والتفاؤل فحين يرى الإنسان واقعا مظلما مليئا بالكيد والظلم والاعتداء على المسلمين ثم حين ينظر إلى سنن الله التي لا تبدل؛ فإنه يتفاءل ويحسن الظن بالله تعالى.

٢- الآية فالأولى متعلقة بالمنافقين وأنهم إن لم ينتهوا عما يقومون به من الكيد والأذى للمؤمنين وللمؤمنات فإن الله سيسلط نبيه عليهم، واختلفوا في سبب عدم حصول ذلك التسليط؛ فقيل: لأن إخلاف الوعيد جائز فهو من باب الكرم، والراجح قول قتادة: أنهم حين سمعوا الآية رجعوا إلى كتمانهم وانتهوا، وقال ابن كثير في الآية: (هَذِهِ سُنَّتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ إِذَا تَمَرَّدُوا عَلَى نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ، أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ وَيَقْهَرُونَهُمْ) وقوله تعالى: {فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} اختلف فيها، فقيل: الذين خلوا من قبل من أعداء النبي صلى الله عليه وسلم فكما أن الله نصر نبيه وسلطه على المشركين واليهود؛ فكذلك سيسلطه على هؤلاء المنافقين، وقيل: الذين خلوا من قبل من الأمم السابقة أن الله تعالى يسلط أوليائه المؤمنين على أعدائه.

٣- الآية الثانية في سياق مشرقي قريش وأنهم هل ينظرون إلا أن ينزل بهم ما نزل لمن قبلهم من المكذبين الذين جاءتهم البينات وكذبوها فهلكوا، وهذا ليس خاصا بمن كذب الأنبياء فيمكن تكرار السنة عند وجود المصلحين الداعين ووجود التكذيب وحرب المصلحين؛ لكن هناك غير سنة الإهلاك سنة إمهال وسنة استدراج فمن المهم الفهم الشمولي للسنن والنظر بمجموعها.

٤- الآية الثالثة أنه من سنة الله إذا أهلك الظالمين فإنه لا ينفعهم إيمانهم حين يرون البأس، والإهلاك نوعان: إما بالآيات الظاهرة مثل الخسف والصيحة؛ أو بالآيات الخفية التي تأتي ضمن سياق التدافع بين الحق والباطل وتسليط الله المؤمنين على الظالمين والسنن الإلهية التي ذكر الله في كتابه أنها ستقع لنبيه محمد

صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بإهلاك الكافرين هي من هذا النوع، وقال ابن عاشور أن هذه الآية هي في النوع الأول من الإهلاك فلا تقبل التوبة من المكذبين الذين يقع عليهم عذاب الله لأن هذا النوع من العذاب لا يُترك معه فرصة لإحسان العمل، فإذا كان هذا العذاب من النوع الثاني فيمكن أن تقبل التوبة كما حصل في بدر الذي كان يوم عذاب الكفار وقال ابن مسعود: **{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى}** {يَوْمَ بَدْرٍ} وبعد أن سلط الله المؤمنون على الكافرين تاب أناس منهم ورجعوا، ومن الملاحظ أن أهل بدر خاصة كان لديهم ثبات ويقين عجيب ظهر في الغزوات التي شاركوا فيها بعد بدر، فكلما رأى الإنسان بعينه نصر الله تعالى ومدده؛ فإنه يكون لديه من اليقين والقوة والصبر ما لا يتحقق لغيره وهذا لا يكون إلا إذا شارك في نصرة الدين والعمل له والصبر في سبيل الله تعالى على ما يناله من الأذى.

٣- الإشارة إلى السنن بغير لفظ السنن:

قال سبحانه: **{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ}** وقال سبحانه: **{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ}** وقال سبحانه: **{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}** وقال سبحانه: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}**.

١- كما أن كفار قريش ليسوا خيرا ممن تقدم، فكفار من تأخر من هذه الأمة ليسوا خيرا ممن تقدم؛ فسنة الله مستمرة لن تتوقف، وهذا يبعث على التفاؤل لكنه يحتاج إلى فقه عظيم.

٢- الآية الثانية في سياق إهلاك المكذبين وهي أيضا في سياق تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وقال ابن عاشور فيها: (وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَلِمَاتُ اللَّهِ مَا كَتَبَهُ فِي أَرْزَلِهِ وَقَدَرَهُ مِنْ سُنَنِهِ فِي الْأُمَمِ، أَيْ أَنَّ إِهْلَاكَ الْمُكَذِّبِينَ يَقَعُ كَمَا وَقَعَ إِهْلَاكُ مَنْ قَبْلَهُمْ) فمعنى {وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} أي: ولا مبدل لسننه.

٤- سنة الإمهال والاستدراج التي يعقبها إهلاك:

قال سبحانه: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ" قَالَ: ثُمَّ قرأ: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ". أخرجه البخاري ومسلم.

الآية في سياق غزوة أحد وما حصل فيها من هزيمة المؤمنين، وقال الطبري في الآية: (فَسِيرُوا أَيُّهَا الظَّالِمُونَ أَنْ إِدَالَتِي مَنْ أَدَلْتُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّكَ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لغير استدراج مني لمن أشرك بي؛ في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، فتعلموا عند ذلك أن إدالتي إنما هي استدراج وإمهال، ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت

لَهُمْ، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يُتُولَ حَالُهُمْ إِلَى مِثْلِ مَا آَلَ إِلَيْهِ حَالُ الْأُمَمِ الَّذِينَ
سَلَفُوا قَبْلَهُمْ مِنْ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُنْيَبُوا إِلَى طَاعَتِي
وَاتِّبَاعِ رَسُولِي).

٥- سنة الابتلاء التي يعقبها سنة التمكين:

عن عائشة رضي الله عنها في حديث نزول الوحي: قال ورقة بن
نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم: لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جُنَّتْ بِهِ
إِلَّا عُودِيَ. أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قصة هرقل مع أبي
سفيان رضي الله عنه، حين قال هرقل له: وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟
فَزَعَمْتَ أَنْكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ
وَيَتَّالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. أخرجه
البخاري ومسلم.

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا
تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ
لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ
فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا
دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ
هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ
إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ". صحيح البخاري.

وقد كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كلها موافقة للسنة
الإلهية في الدعوة وإقامة الحجة ومدافعة الباطل والابتلاء
والصبر على أذى الكفار ثم جهادهم ثم إهلاكهم حتى جاء نصر الله
والفتح.

ورقة وهرقل كلاهما قال تلك السنة مستنيرا بما نمي إليه من
ميراث الأنبياء.



٢٧- باب فى حسن العاقبة والتمكين بعد البلاء

١- عنوان الباب:

هذا الباب مرتبط ارتباطا وثيقا بباب السنن الإلهية؛ فإن من سنة الله تعالى أنه إذا وُجد المصلحون الذين يحملون همّ الدين ويسيرون به؛ أنه لا يكون طريقهم إلى التمكين طريقا سهلا بل يكون محفوا بالابتلاءات، وفائدة معرفة ذلك:

- ١- العلم بالله تعالى من خلال معرفة بعض سننه.
- ٢- التزود بالصبر والتهيو للبلاء.
- ٣- الاستبشار بالخير بعد البلاء إذا كان مقرونا بالصبر والتقوى.

٢- الآيات:

١- قال الله سبحانه: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا}.

١- الآية فى سورة يوسف الذى قصته هى مثال للتمكين بعد الابتلاء الطويل والمتنوع.

٢- "وَزَظُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا": قيل المعنى: أن الرسل استيأسوا من إيمان أقوامهم بهم، وقيل: أن أتباع الرسل ظنوا أنهم قد كُذِّبوا فيما وعدهم به الرسل؛ فهى آية تأسيسية لمعنى أن الله تعالى يبتلى

الصالحين المصلحين بابتلاءات شديدة وعميقة تترك أثرا شديدا في النفس لدرجة أنهم يكادون أن ييأسوا من النصر.

٢- قال سبحانه: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.

١- {الْبَأْسَاءُ} الفقر وقلة ذات اليد، {وَالضَّرَاءُ} الأمراض، {وَزُلْزِلُوا} بالأعداء والحروب، ففي الآية تنوع الابتلاءات.

٢- السنة الإلهية في الابتلاء، وتبديد وهم من يتوهم خلاف ذلك.

٣- تنزل الآية؛ بعد ثلاثة عشر عاما من البلاء والصبر في مكة، وهذا هو الفرق بين التربية في المدرسة النبوية والتربية في بعض المدارس الإصلاحية التي تعطي حالة من التبشيرات الزائفة.

٤- فائدة نزول الآية في بداية المرحلة المدينة التي من أهم سماتها الجهاد: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} ف {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} هو هذه الآية.

٣- الأحاديث:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ فَرَعَمْتَ أَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوْلٌ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. رواه البخاري ومسلم.

٢- عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لِيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ". رواه البخاري.

- ١- شدة ما نال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة.
- ٢- من أعظم أسباب الثبات: سير الصالحين وقصص الثابتين على الدين، فينبغي لكل من هو مهتم بشأن دينه أن يعتني بالقصص الواردة في القرآن ثم في السنة ثم سير الصالحين.
- ٣- أن المجرمين ومحاربي الدين هم على نفس الطريقة والقلوب على مر التاريخ، فطالما الحق وحملته موجودون؛ فالباطل وحملته موجودون ويحاربون الحق بهذه الشراسة وبهذه القوة.
- ٤- الحديث من دلائل النبوة، والعجيب أنه ذكر في مرحلة مبكرة لم تكن فيها بوادر للنصر.

٣- عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا. رواه البخاري ومسلم.

وقوله: (يَهْدِيهَا) أي: يقطعها ويجنيها، ويقصد به ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد الفقر والذلة والفاقة.

٤- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ: "يَا عَدِي هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ" قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: "فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرِيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ" قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَارُ طَيِّئِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ "وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى" قُلْتُ: كِسْرَى بَنُ هُرْمَزَ، قَالَ: "كِسْرَى بَنُ هُرْمَزَ، وَلَيْنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرِيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقِيَنَّ اللَّهَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرَجَّمُ لَهُ فَيَقُولَنَّ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ" قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ" قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بَنِ هُرْمَزَ وَلَيْنَ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوْنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ". أخرجه البخاري ومسلم.

١- "الظَّعِينَةُ" المرأة المرتحلة في الهودج، (دُعَارُ طَيِّئِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ) أهل الخبث وقطاع الطرق من طَيِّئ.

٢- خباب نفسه الذي كان يشتكي قبل ذلك في المرحلة المكية؛ هو الذي يروي تغير الحال وظهور الثمرة وعلو كلمة الإسلام وفي حديثه السابق ذكر أمان القطر الأسفل من جهة اليمن، وفي حديث عديّ ذكر أمان القطر الأعلى من مكة من جهة العراق.

٣- القصة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بدأت من الصفر وجاءت فيها كل عوامل ما يمكن أن يوقفها، وتقلب المؤمنون فيها حالا بعد حال ومروا ببلاء بعد بلاء حتى تم الأمر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجا ونزلت: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ}** ثم تم الأمر في زمن الصحابة بعلو كلمة الإسلام وظهورها على الأديان الأخرى وفتح فارس والروم.



٢٨ - باب في المبشرات بالتمكين وصلاح أحوال المسلمين في آخر الزمان بعد الشدائد والفتن

١ - عنوان الباب:

- ١ - الباب السابق هو كالمهد لهذا الباب فكان قاعدة أساسية في فهم الابتلاءات والنصر والحكم الإلهية، وهذا الباب فيه المبشرات في صلاح أحوال الأمة الإسلامية في آخر الزمان.
- ٢ - الخطأ في هذا الباب من جهتين: من جهة اليأس والإحباط والقنوط، ومن جهة التعويل الزائد على هذه المبشرات دون عمل، والمسلم المقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم يأخذ من هذا الباب نفحة من الأمل ولا يقعد بسببها عن العمل.

٢ - الآيات:

قال الله سبحانه وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} وقال سبحانه: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}.

من سنة الله تعالى أنه كلما وجد في زمن من الأزمان حالة من التحدي والظلام الدامس، ثم وجد الذين يسرون على سبيل

الأنبياء ويقومون بما يمكنهم من شمولية الإيمان والعمل الصالح؛
فإن وعد الله تعالى يصدق عليهم.

٣- الأحاديث:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا"** قَالَ: **"ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِثْرَتِي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - مَنْ يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا"**. رواه أحمد.

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي"**. أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وهذان الحديثان من أجود ما ورد في المهدي إسنادا.

١- الحديث الأول من طريق محمد بن جعفر، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد رضي الله عنه وإسناده صحيح، والحديث الثاني مداره على عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله رضي الله عنه وإسناده جيد، والتركيز على قضية الأسانيد؛ لأن هذا الباب وقع فيه إنكار من بعض المتأخرين لهذه البشرى بالمهدي بسبب كثرة التعامل الخاطيء مع هذا الباب والمبالغة في تنزيله؛ ولكن هذه القضية ثابتة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- الأحاديث الواردة في المهدي على قسمين:

أ- ما كان من النصوص الصريحة في هذا الباب.

ب- ما كان من النصوص العامة التي دلالتها غير صريحة ولكن التي يحملها العلماء على هذا الباب، وهذا القسم هو الموجود في الصحيحين وهذا مما يقوي الباب بشكل عام.

٣- من كان يظن أن الإصلاح في هذا الزمن سيكون خارجا عن السنن الإلهية التي يصلح الله بها أحوال الخلق على مر الزمان؛ فهو واهم، ومن المهم أن يستوعب الناس هذا حتى لا يظنوا أن الأمة ستستيقظ فجأة على مخلص عظيم يخلصها من مشكلاتها بدون أسباب وتعب وبدون وجود إصلاح حقيقي؛ لكن هذه الأحاديث فيها بشارة عظيمة لهذه الأمة، وفيها إشارة ضمنية أن الجور والظلم سيملا الأرض وأن الله تعالى لن يترك هذه الأمة؛ وإنما سيهيئ لها من يقوم بشأنها وستمثلي الأرض عدلا.

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ خُلِفَاكُمْ خَلِيفَةً يَحْتُو الْمَالَ حَتِيًّا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا"**. رواه مسلم.

يكتمل فهم الحديث بحديث مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجَبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ. قُلْنَا: مَنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجَبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مِذْيٌّ. قُلْنَا: مَنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قَبْلِ الرُّومِ. ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتِي الْمَالَ حَتِيًّا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا"**. والقَفِيز هو نوع من المكايل التي يوضع فيها الطعام وفي هذا إشارة ضمنية إلى ما سيحدث في آخر الزمان

من تغير الأحوال وأن كلمة المسلمين لن تكون هي العليا بحيث تُجبي إليهم الأموال والخراج؛ ثم سيكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثيا، وحمله بعض العلماء على المهدي الذي ورد أن من صفاته أنه يعطي الأموال، وهذا فيه بشارة ضمنية بأنه سيكون للمسلمين خلفاء يقومون بأمرهم ففيه ذكر لتبدل الأحوال.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ".** أخرجه البخاري ومسلم.

إخبار ضمني باجتماع شأن اليهود وأنه يكون لهم قوة وجيش بحيث أن المسلمين يقصدونهم بالقتال؛ وهذا أمر عجيب لم يكن في جميع مراحل التاريخ الإسلامي إلا في مرحلتنا هذه، ثم فيه بشارة بأن مآل هذا القتال أن ينتصر المسلمون، وهناك من جعل الحديث مرتبطا بالأحاديث السابقة التي فيها امتلاء الأرض قسطا وعدلا فجعل المنظومة متكاملة في تحقيق الثمرات.

٥- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ، إِذْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةٌ أَوْ رُومِيَّةٌ؟** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا"** يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةً. أخرجه أحمد.

الحديث من طريق يحيى بن إسحاق، عن يحيى بن أيوب الغافقي، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو إسناده جيد صححه بعض العلماء الكبار، وهو أصح حديث في التبشير بفتح رومية التي هي عقر دار النصارى.

٦- عن حذيفة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوءَةٍ" ثُمَّ سَكَتَ. أخرجه أحمد.

الأحاديث المبشرة هي مساحة قابل للاجتهاد من أهل العلم فالحديث أنزله بعض العلماء على عمر بن عبد العزيز لكن الذي يبدو أنه لا ينطبق على حالته لأنه لم تمر مرحلة الملك الجبري؛ فالحديث ينطبق فيما بعده وهذا هو المشهور عند كثير من المتأخرين، والخلافة على منهاج النبوة لا تكون قبل المهدي لأنه هو الذي يكون على يديه امتلاء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تمتلئ ظلماً وعدواناً.

٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ
أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ". أخرجه مسلم.

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ
حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ وَيَفِيضَ
الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا
وَمَا فِيهَا" ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْنَكُمْ {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}.
أخرجه البخاري ومسلم.

١- الإخبار بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان؛ ثابت
ثبوتاً قطعياً وإنكاره يعني إنكار قطعي من قطعيات الدين، وهذا
ما وُجد من بعض متفلسفة زماننا، بل إن منهم من ينكر ما هو
أكثر منه ثبوتاً وهو خروج الدجال؛ وهو إنكار من لا يفقه ولا
يعلم حقائق ما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- في الحديث الأول أن عيسى عليه السلام سينزل على طائفة
ممتدة عبر الزمن مستمرة في العمل لدين الله تعالى.

٣- عيسى عليه السلام لا ينزل بشريعة جديدة؛ لأنه لا نبي بعد
النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ينزل فيحكم بهذه الشريعة، وأما
وضعه للجزية في الحديث الثاني؛ فهو حاصل بإخبار النبي
صلى الله عليه وسلم أنه سيحصل وهذا من لطائف باب النسخ.

٤- أعظم الشأن في عيسى عليه السلام سيكون مع أهل الكتاب
يهودهم ونصرانيهم، فأما يهوديهم فعيسى عليه السلام من

سيقتل الدجال الذي أتباعه هم اليهود، وأما مع نصرانيهم فما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثاني وربطه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} واختلف في الآية فقال بعضهم: إنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ويُعرض عليه عند موته حقيقة عيسى عليه السلام فيؤمن به بعد فوات الأوان، وهنا أبو هريرة حمل الآية على موت عيسى عليه السلام فأهل الكتاب الذين في زمن عيسى عليه السلام بعد نزوله سيؤمنون به قبل أن يموت.

٥- "حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" قال النووي رحمه الله: (فَمَغْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ تَكْثُرُ رَغْبَتُهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ لِقَصْرِ آمَالِهِمْ وَعِلْمِهِمْ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا)، وقيل أن سبب وضع الجزية؛ لكثرة المال وهذا غير صحيح، لكن من اللطائف في ذكر السبب أنه وقت نزول عيسى عليه السلام تزول الشبهة عن النصاري حتى يكونوا كعابدي الأوثان فلا تُقبل منهم الجزية.

٩- عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ". وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

الحديث من المبشرات النبوية التي تحققت آثاره في التاريخ
بوصول كتائب الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها وعلو
كلمة الدين، وتحققت آثاره في الواقع بانتشار الدعوة إلى الله
تعالى ودخول أعداد العجيبة في هذا الدين في ظل هذا الزمن
الصعب وفي ظل تشويه الإسلام والمسلمين وكثرة الفتن
والأزمات والفقر في بلاد المسلمين.



٢٩- باب فى أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله وأنه شرط النجاة

١- الآيات:

قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وقال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}
وقال تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

١- الله تعالى سمى الدين المقبول عنده بالاسم الذي خلق الناس
لأجله وهو الإسلام، واسم الإسلام له إطلاقان الإطلاق العام
يشمل الدين الصحيح الذي نزل على الأنبياء، والإطلاق الخاص
وهو الدين الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم والذي هو
السبيل الوحيد للنجاة، ثم انتشرت اليوم دعوة كانت منذرة تقول
أنه يمكن للبشرية أن تتمسك بأديان أخرى وتنجو عند الله تعالى.

٢- مرتكزات هذه الدعوة على قسمين:

١- ركائز دينية أخلاقية إنسانية عامة تروج على من لا يؤمن
بمرجعية الوحي.

٢- ركائز دينية وشرعية مخصوصة قد تلتبس على المعترف
بمرجعية الوحي فيتأثر بها، ومن أبرز تلك الشبهات: قول الله
تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ

أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ { يقولون: هذه الآية ذكرت أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فقد نجا ولم تشترط الدخول في الإسلام، والجواب من جهتين:

أ- رد المتشابه إلى المحكم فهذه الآية عامة لكي تفهم على وجهها فليُنظر إلى بقية النصوص الواردة في هذه المسألة والتي هي واضحة تماما في أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه شرط للنجاة ومن جملة ذلك النصوص التي في هذا الباب وغيرها من قوله تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** هذا غير النصوص التي تبين أن بقاء النصارى مثلا على عقيدتهم كفر كقوله تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}**.

ب- المقصود بتلك الآية ليس ما فهموه وإنما المقصود كما قال طائفا من المفسرين هو فيما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن حكم كون الآية ذكرت في هذا الموضع: أنه بعد ذلك الذم الكبير لبني إسرائيل؛ يبين الله تعالى أن منهم من كان صالحا.

٣- من أضرار هذه الدعوة: التحريف لهذا الدين، ومن آثارها السلبية: ١- إيجاد حالة من الفتور في الدعوة إلى الإسلام.

٢- خيانة غير المسلمين بأن يُلبس عليهم الحق بالباطل وأن يزدادوا انحرافاً على انحرافهم، وهذه الدعوة مؤهلة للانتشار أكثر بسبب قوة ما تستند إليه من المستندات المادية، ولأن النفس العام اليوم يقبل النفس الإنساني.

٤- الدعوة تتعلق باسم إبراهيم عليه السلام والله تعالى قال: **{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}** فالآية واضحة بيّنة محكمة فيها إبطال لهذه الدعوة لمن يؤمن بكتاب الله.

٢- الأحاديث:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: "أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟" قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: "أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟" قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: "أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟" قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِّ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ".** أخرجه البخاري ومسلم.

١- من أهم ما يدخل في اسم الإسلام: الاستسلام القلبي لله تعالى والإخلاص له وابتغاء ما عند الله تعالى.

٣- فضل وخيرية هذه الأمة وأنها أكثر الأمم في نسبة الداخلين للجنة، وهذا باب من أبواب الرجاء يُحرك الإنسان لأن يكون من هؤلاء الذين يملؤون الجنة.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ**

الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ". أخرجہ مسلم.

١- نص على أن من سمع بهذا الدين ولم يؤمن به؛ فإنه من أهل النار، وهذا النص يؤسس لهذه العقيدة من جهة ويحرك المؤمن من جهة أخرى ليكون داعياً إلى الله تعالى، كما في حديث إسلام الغلام اليهودي وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ**" وهذا يجب أن يكون شعار المسلمين في تعاملهم مع غير المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- من أعظم ثمرات وضوح الحقائق الدينية والإيمان بأن الإسلام هو الدين الوحيد للنجاة: أن يتشجع الإنسان ليدعو إلى الله تعالى رحمة بأولئك الناس المدعويين، وفي هذا الزمن أتيحت فرص كبيرة للمسلمين سهلت دعوة غير المسلمين إلى الله تعالى عبر الإنترنت، خاصة مع هذا الانحطاط الأخلاقي المخيف الذي يحصل في الغرب وحالات الضياع واليأس وانسداد الأفق؛ فهذه كلها حالات يمكن أن تكون مدخلا وسببا في دعوة غير المسلمين للإسلام.



٣٠- باب سير المؤمن إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء

١- عنوان الباب:

١- تأسيس حالة من التوازن في السير إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، وهما جناحان للمؤمن متى فقد أحدهما؛ وقع اختلال في طريقه، فمن فقد جناح الخوف فإنه يمكن أن يصل إلى التهاون في الذنوب والمعاصي، ومن فقد جناح الرجاء سيفقد لذة الإيمان وحلاوته، فالجناحان يجب أن يكتنفا المؤمن على طول الطريق، ولا بأس أن يغلب عليه أحد الحالين في مقامات معينة فعند الوقوع في الذنب يغلب جانب الخوف، وفي مقام نصره الدين يغلب جانب الرجاء، فالإنسان الفقيه يسير إلى الله تعالى تارة بسوط زاجر عن الذنوب والمعاصي وتارة بأمل عظيم يحدوه لمزيد من العمل.

٢- الخوف المقصود هو خوف شامل لأهل الاستقامة كما هو شامل لأهل الذنوب؛ بل حتى الملائكة وصفهم الله تعالى فقال: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} وأهل الجنة عندما تذكروا الدنيا قالوا: {إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ}.

٢- الجمع بين الرجاء والخوف:

١- قال تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}.

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ". أخرجه البخاري ومسلم.

الحديث مخيف وفيه رجاء، فلا يبأس الإنسان إن كان ابتلي بذنوب كثيرة؛ لعله يُهدى، وكذلك لا يأمن لأنه يسير في طريق الإيمان والعلم؛ فليس هناك ضمان أنه سيستمر على ذلك إلى أن يموت، ولذلك كان الصالحون يخافون لحظة الختام وفي نفس الوقت كانوا يؤملون، وأحياناً كان الإنسان منهم يعبد الله تعالى عبادة طويلة رجاء الثبات عند لحظة الموت، وآدم بن أبي إياس لما حضرته الوفاة، قال: (بِحُبِّي لَكَ إِلَّا رَفَقْتَ بِي فِي هَذَا الْمَصْرَعِ، كُنْتُ أَوْمَلُّكَ لِهَذَا الْيَوْمِ)، وكان هذا منتشرًا عندهم لأن داء الغفلة كان بعيداً عنهم وهو من أعظم أدواء عصرنا؛ فالיום المحركات الخارجية للغفلة أكثر من المحركات الداخلية.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ

أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ
أَحَدٌ". أخرجہ البخاري ومسلم.

٤- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ".** رواه البخاري.

١- من موجبات الخوف: أن يعلم الإنسان أن عذاب الله شديد لا طاقة للإنسان به، وفي نفس الوقت رحمة الله تعالى عظيمة وواسعة وفوق ما يتصور الإنسان، والإنسان يتقي الله تعالى ما استطاع، ويجتنب ما يسخط الله تعالى.

٢- موجبات دخول الجنة من الأعمال القريبة والسهلة، ويمكن أن تكون أعمالا لا يلقي الإنسان لها بالا كما في الحديث: **"إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ"** وهذا يجعل الإنسان لا يستخف بقيمة العمل الصالح كما في الحديث: **"لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ".**

٣- من علامات الإيمان: عدم احتقار شيء من الذنوب والمحاولة الدائمة لاجتنابها.

٣- أحاديث في الخوف:

١- عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: **"لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ"**

لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا " قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ. أخرجه البخاري ومسلم.

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ"**. وَقُلْتُ أَنَا مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. أخرجه البخاري ومسلم.

١- (خَنِينٌ): صوت الحزن والبكاء.

٢- الذي يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بعضه راجع إلى المعلوم، أو إلى درجة العلم واليقين؛ لأنه رأى وعلم أموراً متعلقة بالجنة وبالنار وبما عند الله تعالى، والنتيجة التي يؤول إليها هذا العلم هي أن يكون الإنسان جادا في حياته وفي تطلبه لرضى الله تعالى، ومن علامات هذه الجدية الخوف والبكاء وقلة الضحك.

٣- من أرجى ما يلقي الإنسان به ربه هو أن يلقاه بقلب التوحيد فيه خالص، ومن أسوأ ما يلقي ربه به هو أن يكون في قلبه شيء من الشرك؛ فمن أراد التمسك بما فيه ضمان كبير؛ فليأتفت إلى قضية التوحيد، ومن أهم ما يدخل فيه هو أعمال القلوب التي بتحقيقها تُقطع أواصر الشرك الذي بوابته الأساسية هو التعلق بغير الله، فالعناية بأعمال القلوب هو من أهم ما يدفع إلى تحقيق التوحيد والاعتصام بالله والتمسك بأعظم ما ينجيه من العذاب.

٣- أحديث في الرجاء:

١- عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ**

أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ،
وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا
تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي
بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً".
أخرجه مسلم.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ،
وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ". أخرجه مسلم.

١- الحديث الأول من أعظم الأحاديث التي توسع الأمل عند
الإنسان وتزيد رجائه وطمعه في الحسنات وفي العمل.

٢- ما يطمع الإنسان في العمل ليس فقط الثواب المحسوس في
الآخرة، وإنما من أهم ما يطلبه هو القرب من الله وأن يرضى
الله عنه ويحبه تعالى.

٣- من الخير الذي يترتب على الذنوب: أن تكون سبباً للتوبة
والإقبال الشديد على الله والانكسار، وهذه الحال من أعظم صور
العبودية لله، لكن هذا لا يدفع الإنسان إلى الاستهتار بالذنوب.

٣- عن جابر رضي الله تعالى عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
الله عليه وسلم قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا
وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". أخرجه مسلم.

١- من الفقه في الدين: أن يُذكر من حضرته الوفاة بجانب
الرجاء أكثر من تذكيره بجانب الخوف، كما حصل لسفيان

الثوري عندما حضرته الوفاء فقال لحمد بن سلمة: (أَتَرَى اللَّهَ
يَغْفِرُ لِمِثْلِي؟) فَقَالَ حَمَّادٌ: (وَاللَّهِ لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ مُحَاسَبَةِ اللَّهِ إِيَّايَ
وَبَيْنَ مُحَاسَبَةِ أَبِييَّ، لَخُيِّرْتُ مُحَاسَبَةَ اللَّهِ عَلَى مُحَاسَبَةِ أَبِييَّ،
وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِي مِنْ أَبِييَّ).

٢- الحرص على دوام حسن الظن بالله تعالى الذي لا يتنافى مع
حالة الخوف.



٣١- باب في الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحنين إليه

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ أَشَدَّ أُمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- الحديث الأول فيه صورة تبعث المحب على مزيد من المحبة، فمن يحب النبي صلى الله عليه وسلم ويشتاق إليه ثم يسمع منه هذا الكلام؛ تزداد محبته ويتحرك شوقه أكثر.

٢- شأن محبة هذه الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم عجيب، فلا تجد إنساناً مؤمناً إلا وهو يحب النبي صلى الله عليه وسلم بدرجة لا تشبه محبة البشر من الشوق والحنين الكبير جداً له.

٣- من أعظم البواعث على محبة النبي صلى الله عليه وسلم:

١- الخير الحاصل لهذه الأمة بسببه صلى الله عليه وسلم.

٢- ما كان عليه في ذاته من كمال الخلق والرحمة، وجزء كبير من كمال خلقه متعلق بنا نحن المسلمين {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

٣- من أهم ما يسعد به النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلك الإنسان ما كان يسعده في حياته.

٤- إذا كانت قلوب المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تكاد تنقطع شوقا مع أنها لم تره سابقا؛ فإن من أصعب وأشد الحالات حالة من عاشوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم افتقدوه، وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: (لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا)، ثم قد يجبر الله بعض المحبين بما يسدد شيئا من حالة الاشتياق الشديد، ولا يوجد جبر جبره إنسان في شوقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما جبر أنس بن مالك، ففي مسند أحمد عنه قال: (قَلَّ لَيْلَةٌ تَأْتِي عَلَيَّ إِلَّا وَأَنَا أَرَى فِيهَا خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثم بكى أنس رضي الله عنه.

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مَنِيرًا، قَالَ: "إِنْ شِئْتُمْ" فَجَعَلُوا لَهُ مَنِيرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمَنِيرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاخَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَنِيْنٌ أَنْيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّنُ. قَالَ: "كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا". أخرجه البخاري.

كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: (يَا عِبَادَ اللَّهِ، الْخَشْبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ).

٣- عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلم: **"لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ"** فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلم **"الآنَ يَا عُمَرُ"**. أخرجه البخاري.

١- قيمة وأهمية أن يكون حب المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم مقدما على كل المحبوبات البشرية ومن أهمها النفس.

٢- أصل محبة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة وهي من تمام الإيمان بالله تعالى، وهي من أعظم ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم باجتماع هذه الأمة كلها على محبته.

٢- من لم يدرك ويصل إلى أن يحن قلبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فليرجع إلى سيرته وسنته جيدا وليحاول أن يصلح قلبه؛ لأن من فقد ذلك فقد فقد خيرا كثيرا جدا، فهذه المحبة هي من أعظم ما يعيش الإنسان فيه في سعادة وسرور ويزوق به لذة الإيمان وحلاوته كما في الحديث: **"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا"**.

لذلك فإن أجل عمل يرجوه المسلم هو حب الله ورسوله.



٣٢ - باب الشوق إلى الله سبحانه وتعالى

١ - عنوان الباب:

- ١ - هذا الدين أساسه المحبة لله تعالى الدافعة إلى العمل والتضحية وإيثار محابه تعالى على محاب غيره.
- ٢ - كل سبب يبعث إلى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والشوق إليه؛ ينبغي أن يكون باعثاً بدرجة أعلى إلى الشوق إلى الله تعالى ومحبه؛ لأن الاعتبار الأول لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم هو كونه رسول الله الذي أتى بهذا الخير لكن من أنزل هذا الخير هو الله تعالى.

٢ - الآية:

- ١ - قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}.

- ١ - الشوق إلى الله تعالى مذكور في الآية، قال ابن القيم رحمه الله عن الآية: قِيلَ: (هَذَا تَغْزِيَةٌ لِلْمُشْتَاقِينَ، وَتَسْلِيَةٌ لَهُمْ) وقال ابن سعدي رحمه الله: (يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، مستصحبا الرجاء، مؤملا الوصول إليه).

٣- الأحاديث:

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"**. أخرجه البخاري ومسلم.

١- في رواية أن عائشة لما سمعت الحديث قالت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكْرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَكُنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَ: **"لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"** وفيه بيان أن شوق المؤمنين إلى الله تعالى ومحبتهم للقائه هو أمر مستمر في الحياة، وعند حضور الموت يزداد محبة وشوقاً؛ لأن المؤمن يبشر في تلك اللحظة الصعبة بما أمامه من رضوان الله تعالى فعند تلك اللحظة لا يريد المؤمن أن يرجع إلى الدنيا ولو للحظة فليس شيء أحب إليه مما أمامه؛ وهذا من أعظم ما يُعزّي به عند فقدان الصالح.

٢- عن عطاء بن السائب عن أبيه رحمهما الله قال: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: **"اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي**

الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَزِينَةَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هَذَاهُ مُهْتَدِينَ". أخرجہ النسائي.

١- من ميزات هذا الدعاء: أن فيه أسئلة وأدعية لاستصلاح باطن الإنسان ولزوم الاستقامة في مختلف الأحوال، فالإنسان يسأل خشية الله في الغيب والشهادة، ويسأل كلمة الحق في الرضا والغضب ويسأل القصد في الفقر والغنى.

٢- "فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ": فلا يكون دعاء لقاء الله تعالى بسبب ضرر أو فتنة؛ وإنما يكون الشوق إلى الله تعالى لمحض الشوق إليه.

٣- من أسباب البركة والخير العظيم: التزام أدعية النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- الشوق إلى الله لا يكون إلا بعد امتلاء القلب بالحب له تعالى، ومن موجبات محبة الله تعالى:

١- العلم بالله تعالى وهو البوابة الأساسية لحب الله، ويكون بتدبر ما ذكره الله في كتابه عن نفسه من الأسماء والصفات والسنن والأفعال.

٢- النظر إلى النعم الخاصة والعامة.

٣- أعلى من السابق: أن يدرك الإنسان آثار المعية الخاصة من الله للعبد، وميزة هذه المعية الخاصة: أنها تنقل الإنسان إلى

أحوال ومقامات إيمانية عالية؛ لأن المؤمن يرى في هذه المعية الخاصة من حقائق عون الله وتوفيقه ما لم يكن يره سابقا فيعيش جنة العلم بالله؛ فحين يطابق ما يعيشه الإنسان ما قرأه نظريا يعلم حقيقة هذه العبادات وما فيها من اللذة والسرور ويفهم كلام من كان يقول: (إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَّن لَّمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ)، ويفهم سبب قول السحرة: {لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} فحين رأوا حقيقة ما أخبر به موسى عليه السلام عن الله تعالى؛ هان عليهم كل شيء، لذلك من أهم آثار محبة العبد لله تعالى: أنه تختلف عنده كثير من المعايير وتهون عنده بعض الأمور التي كانت تشكل له أزومات كبرى فتأخذ حجمها الطبيعي، ولذلك نحن اليوم في حاجة إلى أن ننقذ أنفسنا إذا كنا نعيش في أوهام السعادة ونُحرم من السعادة واللذة الحقيقية.

٣- عن صهيب رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ". أخرجه مسلم.

قال العلماء: (الجنة اسم جامع للنعيم الآخروي الذي أعلاه رؤية الله تعالى) فالقصور والأنهار ليس هو المحرك إلى الجنة فقط؛ وإنما المحرك الأعظم هو الشوق إلى لقاء الله تعالى في الجنة.



تَحْمَدُ اللّٰهَ